جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
قسم الأدب العربي

مذكرة ماستر

اللغة والأدب العربي

دراسات نقدية

نقد حديث ومعاصر

رقم: ن/11

إعداد الطالبة:

وصيدة بوحجرة

يوم: 10/06/2021

التّغريب الثّقافي في الرّواية الجزائرية المعاصرة – واسيني الأعرج – أنموذجا.

لجنة المناقشة

بشير تاوريريت	أ . د	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا
سامية راجح	أ. د.	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرفا و مقررا
ساميبة آجقو	أ . د	جامعة محمد خيضر بسكرة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2024/2023

الإهداء

إلى أرواح لم أنس ملامحها... إلى الراحلين إليك يا الله اللهم اجعل لهم نعيما في جنّاتك.....إلى **والديّالكريمين - رحمهما الله** -

إلى أجمل الأصوات...إلى أصول الطمأنينة إلى أختي الغاليتين: " **حبيبة"، حسينة،** " والوطن الصغير "**حنين**"

إلى رفقاء دربي وسنديو أجمل نعم الله في الحياة إلى إخوتي، "**عبدو، شريف، وليد، سامي، وحافظ**"

إلى الأوجه المفعمة بالبراءة وبمحبتهم أزهرت أيّامي أبناء إخوتي، **عزّو، معتصم بالله، عمر الفاروق، أدهم، سند عبد الرحمن، أركان، وجميلتهم آلاء الرّحمن، وأمّهاتهم الفضليات.**

إلى من تذوّقت معها أجمل اللّحظات.... إلى الهبة من الله لقلبي.....إلى صديقتي "**سعاد مسعي**" وعائلتها الصغيرة.

إلى المؤنسات الغاليات ...

الأستاذة الكريمة سعاد بلمكي

والأستاذة القديرة رشيدةقوراري

دون أن ننسى الناقدة والأديبة عالية المقام فاكية صباحي

وفي نهاية هذا البحث أحمد الله تعالى عز وجل على نعمة التوفيق في إتمام هذا البحث

كما يسرني أن أتقدم بالشّكر الجزيل إلى أستاذتي الفاضلة البروفيسورة " **راجح سامية** " لقبولها الإشراف على بحثي هذا شاكرة لها رعايتها له بنصائحها وتوجيهاتها القيّمة لإتمامه فجـزاها الله خـيرا.

كما أتقدّم بفائق الشّكر والتّقدير للّجنة المناقشة كلّ باسمه، لـكـم مـني كـلّ الشّكـر والامـتـنـان.

كما أقـدّر جهود أساتذة قسم الآداب واللّغة العربية الذين أشرفوا على تكويني خلال مساري الجامعي، وإلى كلّ من ساعدني في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد ولو بنصيحة.

وحيدة بو حجرة

مقدمة

إذا كان التّغريب الثّقافي ظاهرة – ثقافيّة واجتماعيّة وسياسيّة ودينية – عامّة، قد يعيشها مجتمع تحت ثقافة غريبة أقوى منه بالاحتكاك غير المتوازن، فإنّه من الطّبيعي أن يكون ذلك واضحا وجليّا في الرّواية العربيّة المعاصرة عموما، والجزائريّة خصوصا، بسبب التّحولات التي تشهدها المجتمعات العربيّة في شتّى المجالات، خاصّة الجانب الثّقافي الذي شهد انفتاحا جديدا في عصر العولمة، جعل الرّوائي العربي وعلى غراره الرّوائي الجزائري يشعر بأنّه يقف حائرا بين ثقافتين متناقضتين:

الأولى ثقافة عربيّة أصيلة تدفعه إلى الانتماء إليها، والحفاظ عليها، والأخرى ثقافة تغريبيّة تعمل على انفصاله عن ثقافته الأولى، وفي ظلّ هاتين الثقافتين يعيش الرّوائي الجزائريّ عاجزا، فتبدو عليه مظاهر الانفصام الشّخصي فهو في حقيقته يتمسّك بتراثه المنتمي إليه، ومع ذلك يسعى في إبداعه للعصرنة المظهريّة المصطنعة، ممّا جعله شخصية ممسوخة فاقدة الهوية، غير قادر على التكيّف مع الواقع أو التصالح مع الأنا أو التعايش مع الآخر من إعادة الذاّت فجعله يعيش حالة التّغريب.

والرّواية الجزائريّة تشكلّت معالمها التّغريبية بصورة واضحة جليّة على يد مجموعة من الروائيين الذين تبَنَّـوا هذه القضيّة يأتي في مقدّمتهم الرّوائي الجزائريّ "**واسيني الأعرج**" في أعماله الرّوائية ، المتأثّر بالثّقافة الغربيّة إلى حدّ التّعلّق بها والأخذ بقيمتها، ويظهر هذا في الانبهار خاصّة في روايتيه: **(كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد، وأصابع لوليتا)**، الأمرالذي حفّزنا لقراءتهما وجعلهما أنموذجا تطبيقيّا لموضوع بحثنا الموسوم بـ: **التغريب الثقافي فيالرواية الجزائرية المعاصرة**، وكذلك يعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع قلّة الدّراسات النّقديّة حول ظاهرة التّغريب مقارنة بالكمّ الهائل للدّراسات السّردية للمنجز الرّوائي " **الواسينيّ** "، بالإضافة إلى شيوع روايات " **واسيني الأعرج** "بين القرّاء وحصولها

على جوائز عديدة سواء أكانت وطنيّة أو دوليّة، على هذا الأساس يمكن صياغة إشكالية للمذكرة على النّحوالآتي:

- **كيف** تجلّى التّغريب الثّقافي داخـل الـرّوايتين **الأمير مسالك أبواب الحديد، وأصابع لوليتا؟**

وللإجابة عن هذه الأسئلة اتّبعنا المنهج التـأويلي الذي يتلاءم وطبيعة دراستنا بالإضافة إلى اعتـمادنـا في ذلك على آليتي الوصف والتّحليل، اللّتين تتناسبان وموضوع الدّراسة، وبناء على هذا قسّمنا بحثنا إلى **مقـدّمة وفـصليــن:**

الفصل الأول نظري تناولنا فيه مفهوم التغريب الثقافي، وعواقبه الخفية وخصّصنا الحديث فيه عن وسائل التغريب الثقافي، لنختم الفصل النظري بأعلام التغريب من الأدباء والمفكرين، أمّا الفصل الثاني التطبيقي تناولنا فيه تمظهرات التغريب الثقافي، وتجلياته في النصّ الروائي عند **واسيني الأعرج** بدراسة روايتي: **الأمير مسالك أبواب الحديد، وأصابع لوليتا،** لتكون الدراسة مقسّمة على ثلاث فضاءات : الفضاء التّاريخي والسّياسي والفضاء الثقافي وأخيرا الفضاء الاجتماعي، ومن ثمّ **خاتمة** كانت عبارة عن حوصلة لما جاء في البحث، وقد اعتمدت هذه الدّراسة على مجموعة من المصادر والمراجع أهمّها:

- رواية كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد
- رواية أصابع لوليتا
- شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي لـ" **أنور وجدي** "
- واقعنا المعاصر لـ " **محمد قطب** "
- الثقافة الإسلاميّة بين التغريب والتأصيل لـ" **شلتاغ عبود** "
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لـ "**أبو الحسن النّدوي**"

أمّا بخصوص الصّعوبات التي واجهناها هو شساعة موضوع البحث وتداوله على نطاق واسع في مختلف العلوم بالإضافة إلى ضيق الوقت فقد حوصر العمل في مدّة زمنية محدّدة ، لكن بفضل الله تعالى أولا، وبفضل أستاذتنا المشرفة ثانيا استطعنا أن نتمّ بحثنا .

وفي الأخير لا يسعنا إلاّ أن نتقدّم بجزيل الشّكر والامتنان للدّكـتورة **سامية راجح** فشكرا على الجهود الجبّارة في إرشادنا وتوجيـهنـا.

الفصل الأول

التّغريب الثّقافي: مفاهيم أساسيّة

تمهيد

أوّلا: مفهوم التّغريب الثّقافي

1 . التّغريب لغة

2 . التّغريب اصطلاحا

3 . التّغريب الثّقافي

ثانيّا التّغريب الثّقافي وعواقب الخفيّة

ثالثا: وسائل التّغريب الثّقافي

تمهيد

1 . الوسائل الثّقافية والفكرية للتّغريب

2 . الوسائل التّعلميّة والتّربوية للتّغريب

3 . الوسائل الإعلامية للتّغريب

4 . الوسائل السياسية والعسكرية

5 . الوسائل الاقتصادية والمالية للتّغريب

رابعا: أعلام التّغريب من الأدباء والمفكرين

تمهيد :

جاء التّغريب مع الاستشراق والتبشير لحمل الثّقافة العربيّة الإسلامية على الانصهار في مفاهيم الغرب وحضارته وبالتّالي ابتعاد الشّعوب وانفصالها عن التّاريخ واللغة والهويّة الخاصّة بها، وهو ما منعها إدراك ماهيّة تفرّدها الثّقافي والتّمسّك به، وقد ساهمت التّطوّرات والاكتشافات والتّقنيّات الجديدة في وسائل الاتّصال والتّواصل الاجتماعي والإعلام وعالم الفنون والتّرفيه في عمليّة التّغريب، وهو ما يمثّل الخطر الأكبر على هويّات المجتمعات.

يعمل التّغريب على تغريب الوعي، فيجبر الشّعوب على تقبّل مصطلحات مختارة لتحلّ المصطلحات المأخوذة من تراثها اللغوي والثّقافي والدّيني والتّقاليد الاجتماعيّة. وتبدو هجماته هائجة على كلّ رفض للاستيلاب الثّقافي والقيمي مع الثّقافات المسيطرة. ليصيغ مجتمعا نسخة طبق الأصل للنّموذج الغربيّ بجميع سلبياته لأنه لا تقوم قائمة لأمجاد أمّة إسلاميّة من جديد.

أولا: مفهوم التغريب الثقافي

01 ـ التغريب لغة:

التغريب لغة مأخوذ من المادّة" **غَـرُبَ** "**لابن منظور** في **لسـان العرب** ((والتّغريب: النّفي عن البلد، وغَرُبَ أي بَعُدَ..، ومنه الحديث: أنّه أمَر بتغريب الزّاني، التّغريب: النّفي عن البلد الذي وقعت الخيانة فيه ، أغربته إ ذا نَحَّيتُـه وأَبعَدتُهُ)) [1].

[1]ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، المجلد1، ط1، 1990، ص639.

إلى نفس الدّلالة ذهب **الجوهري** في **الصّحاح:** ((ويقال: " **هَل جَاءَكُم مُغَرِّبَةُ خَبَرٍ** " يعني الخبر الذي طرأ عليه من بلد سوى بلدهم،...و**مُغَرَّبٌ** بفتح الرّاء، أي بعيد، و**التّغريب:** النّفي عن البلد)) [1]

اتّفق التّعريفان في أنّالتّغريب انتقال إجباري وابتعاد اضطراري يفرض على الإنسان فرضا لعقوبة قد تكون دينيّة أو أيديولوجيّة أو سياسيّة، ويُسمِّي بعض الدّارسين هذاالنّمط من الارتحال بـ: ((غربة القهر وغربة الذّات فهنا كغربة ماديّة تتجلّى في البعد عن الوطن والأهل، وغربة معنويّة تتجلّى في الخروج على مبادئ النّاس وتقاليدهم وأعرافهم)) [2]

في هذا المعنى نلمس أنّ ثمّة جانبا معنويّا للّتغريب يفوق الجانب المادّي في الخطورة، وذلك بالبحث عن كلّ ما هو غريب وغير مألوف في الأشياء المحيطة بنا، وجعلها مدركة وملحوظة بطريقة مغايرة عن إدراكنا بمشاركته لوقائع الحياة العاديّة ليُقلَبَ معنى وجوده في الواقع إلى أمر مألوف ونمطيّ مثل كساء جديد.

فالتّغريب ليس هو التّغريب الذي كان يعرفه **الجوهريّ وابن منظور** كما ندركه و نعي أساليبه و أهدافه اليوم ، لأنهم لم يعايشوه في زمانهم .

2 ـ التغريب اصطلاحًا:

لقد وردت كثير من التعريفات لمصطلح "التغريب" وذلك حسب ما يراه كل باحث من وجهة نظره لِمَا يمتاز به من حمولة معرفيّة واجتماعية، وسياسية.

---

[1] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، مصر، المجلد1، ط1، 2009، ص841.

[2] عبد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د.ط، 1986، ص15.

فالتّغريب عند **أنور وجدي** هو: "حركة كاملة لها نظمها وأهدافها ودعائمها، ولها قادتها الذين يقومون بالإشراف عليها تستهدف احتواء الشخصية الإسلامية الفكرية ومحو مقوماتها الذّاتية وتدمير فكرها وتسميم ينابيع الثّقافة فيها."[1]

وعرّفه **أحمد بن عبد العزيز البدّاح:** "التّغريب حركة فكرية تهدف إلى طبع المجتمع بالصبغة الغربية من خلال وسائل وأساليب مختلفة."[2]

أمّا **محمّد محمّد حسين** يرى أنّ التغريب هو: "صرف العرب عن الطريق الصّحيح إلى تحررهم ثم استيادتهم."[3]

بناء على ما تقدّم يمكن القول إنَّ التّغريب هو محاولة غربيّة تهدف إلى صهر الأمة الإسلامية وإعادة هيكلتها تحت شعار الحضارة الغربية بوسائلٍ ومخطّطات مختلفة لاستلاب هويتها، وهذا يعني خلق عقليّة جديدة تعتمد على تصوّرات الفكر الغربي، بهدف فرض السّيّادة الغربيّة على الحضارة الإسلاميّة.

3 . التّغريب الثّقافي:

يطلق التّغريب الثّقافي على: "حالات التّعلّقِ والانبهار والإعجاب والتّقليد والمحاكاة للثّقافة الغربية، والأخذ بالقيم والنّظم وأساليب الحياة الغربية بحيث يصبح الفرد أو الجماعة أو المجتمع المسلم الذي له هذا الموقف أو الاتجاه غريبًا في ميوله وعواطفه وعاداته وأساليب حيته وذوقه العام وتوجهاته في الحياة، ينظر إلى الثّقافة الغربيّة وما تشمل عليه

---

[1] أنور وجدي، شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، د..ط، 1978، ص14.

[2] عبد العزيز البدّاح، حركة التغريب في السّعودية، المركز الإسلامي للدّراسات الإنسانية، الرياض، السعوديّة، ،ط1، 2010، ص8.

[3] محمّد محمّد حسين، حصوننا مهددة من داخلها، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط6، 1981، ص123.

من قيم ونظم ونظريات وأساليب حياة نظرة إعجاب وإكبار، ويرى في الأخذ بها الطّريقة المثلى لتقدّم جماعته أو أمّته الإسلامية.»[1]

أي جعل الأمّة الإسلاميّة تابعة للغرب في الثّقافة وأساليب العيش وطرق التّفكير.

و هو أيضا: ((وقوع مجتمع ما تحت تأثير ثقافة غربيّة أقوى منها عن طريق الاحتكاك غير المتوازن بهدف إبعاد هذه الثّقافة عن جذورها وتغيير أهمّ لتصبحَ غريبة عن أصولها الاجتماعية التي نشأت وتكوّنت فيها وميّزت مجتمعها عن المجتمعات الأخرى)).[2]

فالتّغريب الثّقافي إذن هو محاولة غربيّة أو استعمار هادئ يحاول هدم الشّخصيّة العربيّة الإسلاميّة خصوصا وطمس مبادئها الدّينيّة والثقافيّة والأخلاقيّة، لأنّه إبدال ثقافي يتغيّر بإحلال ثقافة أجنبيّة محلّ الثّقافة العربيّة الإسلاميّة الأصليّة مع ما يرافق ذلك من مظاهر التّبدّل والتّغيّر.

ثانيا: التّغريب الثقافي وعواقبه الخفيّة

يكمن خطر التّغريب الثّقافي اللاّمباشر في القضاء على المبادئ الإسلامية، ومن أبرز تلك الأهداف نذكر:

1.أن يتخلّى المسلمون عن دينهم: وذلك من خلال تفكيك الوحدة العربيّة الإسلاميّة في المجالات السّياسيّة والفكرية والثّقافيّة وبطرق خفيّة [3].

---

[1] فريد محمّد أمعضشّو، التّغريب مفهوما وواقعا، مجلة المنهاج، العدد 64، المغرب، 2012، ص11.

[2] حذيفة عبودالسّامرائي، التّغريب آثاره وسبل مواجهته، مجلة العلوم الإسلامية، ع10، العراق، 2019/06/30، ص04.

[3] ينظر: حذيفة عبود السّامرائي، التّغريب آثاره وسبل مواجهته، ص12.

2.الحطّ من شأن العرب المسلمين: من خلال التقليل من شأن الشّخصية العربية المسلمة، والسّعي في تدمير الشّخصيات النّابغة والإعلاء من شأن التّافهين، ومن اشتهروا بالانحلال الخلقي، وقد تطرّق **الشيخ الدّوسري** -رحمه الله- لهذا الأمر عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾[1]

وهذا مسعى اليهود عبر المؤامرات من أجل تحطيم فكر شبابنا وجعلهم يتنكّرون لدينهم وأمجاد أمتهم وتاريخها بإحياء ما يسمونها بالحضارات القديمة في العالم الإسلامي من خلال إرجاع كل قطر إلى جاهليته القديمة قبل الإسلام والالتفاف حولها كالاعتزاز بالفراعنة بمصر.[2]

3.الدّعوة إلى الالتفاف حول ما يسمونه **(الإنسانية)**بهدف محو وهدم الفوارق والحدود الدّينية فيحلّ السّلام وتصبح الأرض وطنًا للجميع -بزعمهم- وهي دعوة يهودية ظاهرها الرّحمة وباطنها العذاب لأنّها في حقيقتها سراب. [3]

4.التبعية: "فالمسلمون والعرب لم ينهزموا إلاّ من منطبق واحد، هو أنهم تشبّثوا بالتّبعيّة وأساليب الفكر الوافد وتركوا أسلوبهم الأصيل ومنهجهم الأمثل الذي انتصروا به خلال تاريخهم كلّه"[4]، فالغرب يسعىإلى تذويب المجتمع المسلم في شخصية المستعمر الغربي، وبهذا ركز على الفكر الإسلامي والثّقافة العربية بتزييف الحقائق وتلميع الفكر الغربي ليعجب به المسلم فيكون تابعًا ومُسلما ومقلّدًا للغرب.

---

[1] سورة البقرة، الآية 109.

[2] ينظر: عبد الرحمن بن محمّد الدّوسري، صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم، دار المغني للنشر والتوزيع، المجلد2، الرياض، السّعوديّة، ط 1، 2004، ص323.

[3] حذيفة عبود السّامرائي، التّغريب آثاره وسبل مواجهته، ص13.

[4] أنور وجدي، شبهات التّغريب في غزو الفكر الإسلامي، ص48.

5.ضرب العقيدة الإسلامية في ثوابتها التي تتجلّى في القرآن الكريم لقول **غلاديستون**«أنه لا يمكن السّيطرة على المسلمين مادام الكتاب باقيًّا»[1] وضرب في اللغة العربية الفصحى، وتقويض دعائم عقيدة المجتمع الإسلامي، وبذلك حتى يتمكّن من تنفيذ مخطّطاته التخريبية بدقة. [2]

6.القضاء على مناهج التّعليم الدّينية، وخلخلة القيم الراسخة في المجتمع الإسلامي، والإشادة بالغرب وبتعاليمه ونظمه وحضارته وكل المقوّمات التي تميزه عن المجتمع المسلم، كالترويج للمظاهر الاجتماعية الغربية خاصةً في الفنّ، الرياضة، الأزياء، العطور، الحفلات الرّسمية. [3]

7. إثارة الموضوعات التي تثير الخلافات بين المسلمين: كالدّعوى إلى تعدد الزّوجات، تحديدالطّلاق، اختلاط الجنسين، دعوى الحرّية للمرأة والوطنية وإثارة القوميّة وإباحة الكثير من المحرّمات. [4]

8. إباحة نظام الرّبا على الاقتصاد، واستنزافثروات الأمة الإسلامية.

9. غلبة الماديّاتعلى العلاقات الإنسانية والرّوحيّة والحياة الاجتماعية عن طريق نظرية **فرويد (الدّوافع الجنسية)** والماركسية **(دوافع المعدة)** وأصبح الإنسان حيوانًا تحكمه غريزته.

---

[1] محمد علي فدعيم، محاضرات الاستعمار الثّقافي، كلية الآداب جامعة الأنبار، مصر، 2022/2021، ص30 في: 2024/04/01، السّاعة: 16: 45، عن https: //www.uoanbar.iq

[2] ينظر: أمل موسى، وسائل الغزو الفكري على عقيدة المرأة المسلمة، مجلة الدّراسات العربيّة(DRAM)، المجلد37، العدد 04، في جانفي 2018، ص1740

[3] ينظر: حذيفة عبود السّامرائي، التّغريب آثاره وسبل مواجهته، ص13.

[4] ينظر: سعود عبد العزيز الدّوسري، التغريب في العالم الإسلامي: مخططاته وآثاره وكيفية مواجهته دعويًّا، مجلة الدراسات الاجتماعية، المجلد16، العدد32، اليمن، 2011، ص179.

10. فرض الفلسفات المادّية (جدلية ومادية وبرجماتية ووضعية ووجودية) لما تحتويه من أحقاد وأهواء وأوهام الإلحاد وإذكار ما لا يخضع للتّجربة وإدعاء المنهجية في البحث[1]

إنّ التّغريب الثّقافي هو استعمار هادئ يهدف إلى نشر الثّقافة الغربية في الوطن العربي والإسلامي بمختلف صورها، وميادينها لخلق شخصية عربية لا تفهم ولا تعي شخصيّة دون أخلاق ودين شخصيّة مسلوبة الإرادةتافهة ذائبة فيما يُسمّى بالحضارة والتّطوّر الغربي، حتى أنّ له مسمّيّات كثيرةمنها: التّنوير، التّقدّم، الجديد، الغزو الثّقافي، الإلحاق الثّقافي، الاستيلاب الثّقافي.

ثالثا: وسائل التّغريب الثقافي:

لقد صرّح ملك فرنسا **لويس التّاسع** أنّه لا سبيل إلى السيطرة على المسلمين عن طريق الحروب والقوة؛ لأن في دينهم عاملاً حاسمًا هو عامل المواجهة والمقاومة والجهاد وبذل النفس والدّم رخيصًا في سبيل العرض والأرض، فكان لا بد من إيجاد سبيل آخر يزيل هذا المعنى، ولا يتم هذا إلا بتركيز واسع على الفكر الإسلامي وتحويله من منطلقاته وأهدافه حتى يستسلم المسلمون أمام القوى الغربية.[2]

والتّغريب -مثله مثل الاستعمار- له وسائله وأساليبه الخفية المنتشرة وراء المدنية والخدمات الإنسانية العامة[3] وأبرزها:

---

[1] أنور وجدي، أهداف التّغريب في العالم الإسلامي، الأمانة العامة للجنة بالأزهر الشريف، مصر، د. ط، 2015، ص14-15.

[2] ينظر، سعود عبد العزيز الدّوسري، التّغريب في العالم الإسلامي، ص180-181.

[3] المرجع نفسه، ص181.

1 . الوسائل الثّقافية والفكرية وطرقها للتّغريب:

المقصود بالغزو الفكري: «الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصّليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية وصرف المسلمين عن التّمسك بالإسلام وما يتعلّق بالعقيدة وما يتصل بها من أفكار وتقاليد، أنماط سلوك»[1]. ومن الشّواهد التّاريخية التي تدلّ على تركيز العدو على فكر المسلمين وعقيدتهم ما حصل في الحروب الصليبية عندما أسر**لويس التّاسع** ملك فرنسا على يد المسلمين بعد هزيمته في حملته الصليبية، وسجن لفترة ثم افتدوه قومه وفكّوا أسره، وفي أثناء سجنه أخذ يتفكّر فيما حلّ به وبقومه ثم قال لقومه: "إذا أردتم أن تهزوا المسلمين فلا تقاتلوهم بالسّلاحوحده، فقد هزمتم أمامهم في معركة السّلاح ولكن حاربوهم في عقيدتهم فهي مكمن القوة فيهم"»[2]

ومن أبرز الوسائل التي اتّخذها الغرب لهدم ثقافة وفكر الأمة هي:

أ . التّرويج للمفاهيم المغلوطة:

لقد عمل المستعمر إلى إحلال بعض المفاهيم الدّخيلة بدلاً من المفاهيم الأصلية التي يراد إبعادها في مجال الفكر والحياة، ومن تلك المفاهيم: نظريات التطور والحرّية والعقلانية ومفهوم القيم والتّقدّم والتجديد....،فمثلا نظرتهم للعقلانية والعلم تجعل التطوّر مذهبا لا سبيل لمعارضته، أما العقلانية بمفهومها الصحيح فإنّها تكون متكاملة على العقل والرّوح، والعلم والدّين والعقل جهاز كاشف لكنّه يسير وفق الوحي. [3]

---

[1] محمد قطب، واقعنا المعاصر، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1997، ص182.

[2] المرجع نفسه، ص183.

[3] ينظر: أنور وجدي، شبهات التاريخ في غزو الفكر الإسلامي، ص170-174.

ومن المفاهيم التاريخية الزّائفة في الفكر الإسلامي التي رُوّجَ لها النّفوذ الأجنبي عبر أبحاثه ومؤلفاته ومناهجه الدّراسية، وصف حملات الاستعمار على إفريقيا وآسيا على أنها طلائع الكشوف الجغرافية، وأن البرتغالي **هنري** الملاّح مكتشف عظيم، وأن **فاسكو ديجاما** رحالة مخلص للعلم، ولم تذكر الحقائق من أن هؤلاء تلطخت أيديهم بدماء المسلمين، ومن المفاهيم المغلوطة كذلك الزّعم بأن دولة الخلافة العثمانية ما هي إلا احتلال أو استعمار تركي للمناطق العربية. [1]

ومن دسائس التّبشير والاستعمار ترويج: ((مصطلح العصور الوسطى في مدارس المسلمين وكتبهم، والمقصود بها الحقبة التاريخية التي سقطت فيها الإمبراطورية الأوروبية الشرقية على يد الأتراك العثمانيين وأن هذه العصور عصور انحطاط وجهل، وبهذا التّعبير جُعلت الحضارة البشرية مرتبطة بالجنس الأوروبي وحده)). [2]

ومن حيلهم التّشكيك في عالمية الإسلام واتساعه ومرونته وقدرته على مواجهة التّحديات عبر التّاريخ وقدرته على العطاء للحضارة البشريّة، و((أنّ الإسلام قام بدوره في تلك الحقبة التاريخية التي انقضت، فهم بذلك يريدون غرس مفهوم أنّ الإسلام ليس الدّين الخالد إلى يوم القيامة ويصوّرون الأنبياء على أنهم مصلحون وأبطال استوعبوا فكر أمتهم)). [3]

تكمن خطورةالتّرويج للمفاهيم المغلوطة في تغليف المصطلحاتوتزيينها بمسمّيّات جذّابة من خلال تمرير بعض المغالطات التي تمكّن من تضليل النّاس بتبديل المصطلحات الحقيقيّة، وذلك بوضع أسماء مزيّفة لها، لكن جاذبيّتها تَقلِبُ

---

[1] أنور وجدي، شبهات التّاريخ في غزو الفكر الإسلامي، ص130-134.

[2] المرجع نفسه، ص134-135.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص286.

صورتهاالحقيقيّة، لتطبع في الأذهان وتعجب بها وتحبّ سماعها حتّى تعتاد عليها، وتستأنس القلوب بها وتميل لها ميلا، وقد تصير درجة النّفرة منها شبه معدومة بعد تغليفها وتنميقها حتى تطمس آثاره مثل: قصّات الشّعر الغربيّةيندرج تحت مفهوم " حرّية التّعبير " والزّنا تغيّر مدلوله الفاحش وصار من الأمور التي تمّ إدخالها بما يصطلح عليه " لفظ الحبّ "، والموسيقى تمّ تغليفها بمُسَمَّى جذّاب ألا وهو " غذاء الرّوح " وترويج الأفكار الهدّامة للقيم الإنسانيّة، حيث يقول الشّيخ **الشّعراوي** عن الذين يريدون أن يتعاموا بالرّبا لأن تحريمه لا يتوافق مع هذا العصر: "وحين نقول: إن الإسلام صالح لكل زمان ومكان يجب أن تفهم هذه القضية جيّدًا، وإياك أن تقول: إنّ الإسلام لا يصلح في زمان كذا، أو في مكان كذا، والآن نسمع البعض يتصرفعن منهج الإسلام ويقول لك: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ سورة البقرة 286؛ أي ليس في وسعه إلاّ الآن تنفيذ شرع الله، لكن نقول له: من الذي يحدد الوسع؟ أنت أم المشرّع سبحانه؟ ما دام الله تعالى قد كلّف فاعلم أنّ التّكليف في وسعك، فخذ الوسع من التكليف، لا أن تقدر الوسع وتنسى ما كلّفك الله به، لذلك ترى أن الله تعالى إذا ضاق الوسع يخفف عنك دون أن تطلب أنت التّخفيف، كما في صلاة وصوم المريض والمسافر... وكما في التّيمم إن تعذّر استعمال الماء، فلا معنى لأن تقول إنّ تعاليم الدّين لا تناسب العصر، إذن، اجعل العصر هو المُشَرّع، وانصرف عن تشريع السماء إلى ما يحتمله العصر لذلك قلنا: إنّ الحقّ سبحانه حينما يلقي تكاليفه يقول: ﴿قُلْ تَعَالَوْا ﴾ سورة الأنعام الآية 151؛ فمعنى (تعالوا) ارتفعوا عن مستوى أهواء البشر، وتعالوا إلى تكاليف الله، فإن هبطت بالتكاليف إلى مستواك وقلت: ظروف العصر تحتم عليّ كذا وكذا فقد أخضعت منطق السماء لمنطق الأرض، وما جاء منطق السماء إلاّ ليعلو بك."[1]

[1]ينظر: متولّي الشعرواي، تفسير الشّعرواي، مكتبة الأسرة، القاهرة، مصر، د.ط، ،د، ت، ص11464.

وهذا كلّه لتفريغ الألفاظ من معانيها وتغليفها بمسمّيات جديدة جذّابة بهدف الإغراء للتآلف معها واستمالة عواطفنا وسكون عقولنا أمامها واطمئنان قلوبنا لها، وهذا ما يزيد من خطورتهاللانصياع والخضوع الكلّي لإرادات مقصودة ومتعمّدة.

ب . الاهتمام بحضارات ما قبل الإسلام:

يريد الغرب إسقاط دور الحضارة الإسلامية في التّاريخ في ترقية الإنسان وإنهاء أثرها في الحضارة الحديثة؛ وذلك بالدّعوة لإحياء الحضارات القديمة لخلق النّزاعات ما بين المسلمين حتى يتفرّق شملهم، وكلّ ينادي بجاهليته، ويفتخر بالانتماء إليها، وتنشأ العصبية والتّعصب واستعمال الأساليب غير المشروعة في الدّفاع عنّها «فوُجدت محاولات التّغريب إلى خلق الخلاف والخصومة بين العرب والمسلمين في إنارة النّزاعات العصبية القديمة وإعادتها إلى الوجود والكلام عن كل منها في الحضارة. ومحاولة ردّ التّراث الإسلامي إلى أصول بعيدة كالفرس والهنود، واليونان وإثارة نظرية السّامية والآرية واستغلالها في تمزيق وحدة المسلمين، ومحاولة تصوير كل قطر إسلامي وكأنه مستقلّ ومنفصل، وله فكره ومفهومه وتاريخه، وخلّق جوّ من الصّراع بين القوميّات الإسلامية»[1]

بمعنى تعود الحياة الاجتماعيّة التي وحّد الإسلام مظاهرها إلى التّفرقة والتّشتّت برجوعها إلى أصولها القديمة السّابقة على الإسلام، والغاية منها تلوين الحياة المحلّيّة في كلّ بلد من البلاد الإسلاميّة بلون خاصّ يستند إلى الجاهليّة.

جـ . دمج الفكر الإسلامي بأفكار الأمم الأخرى:

حاول الاستعمار القضاء على الشّخصية العربيّة الإسلامية وربطها بأفكار أمم أخرى، وينقل عنه صور الضّعف في التّقدّم دون دمجه، فيتمّ ذلك بـ:

[1] أنور وجدي، شبهات في التّغريب في غزو الفكر الإسلامي، ص05.

جـ . 1 . الغرق في الحياة المادّيّة:

تسعى المؤسسات التّغريبية إلى ترسيخ حياة التّرف في بناء الأجيال والاهتمام بالمادّيات، وتريد أن تجعلهم في موضع اليأس والقنوط من تراثه، وتزيّنَ لهم الانفلات من قيود الأخلاق والانسلاخ من هويتهم، وترويج الانحلال الخلقي، فتجعل المجتمع هشًّا سريع الانحلال والذوبان فقيرًا لكل ما يبنى على الأخلاق والقيم.

ويعلّق الشّيخ **الدّوسري** على حال الذين يعيشون الحياة المادّية الذين قال عنهم الله -عز وجلّ-: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[1] فيقول: «لقد اثبتت التّجارب أنّ طلب العلوم والفنون مع إهمال النّفس عن التّربية الدّينية المحمّدية لا يجدي نفعًا ولا يحلّ مشكلا بل يتكوّن منه عالم ماديّ لا همَّ له سوى النّفعية والوصولية بأيّ شيء كان وعلى أيّ حساب كان» [2]

جـ . 2 . تأثير حركة التّرجمة على الفكر الإسلامي:

إنَّ نشاط حركة التّرجمة في العصر العباسي كان لها أثرها من الإغريقية فنقل النّافع والضّار، كالفكر العقلاني التجريدي حتى أصبح هو الحكم في كل شيء وبسبب نقل هذا الفكر بين المسلمين نشأت فرق كثيرة أحدثت فوضى في فكر المسلمين، كفرقة المعتزلة، الذين جعلوا العقل هو المحكم على الوحي.

لا تزال التّرجمة العشوائية قائمة في العصر الحديث التي تسببت في نقل حمولة أفكار بعيدة عن معتقداتنا، ولهذا حدثنا**محمّد محمّد حسين** عن أعمال اللجنة الثقافية بجامعة الدّول العربية وترجمتها وطباعتها للعديد من الكتب الأوروبية والأمريكيّة، فيقول:

---

[1] سورة محمد، الآية 12.

[2] الدوسري، صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم، ج3، ص128.

«الأصل في معيار انتقاء أيّ مادة وترجمتها ونشرها هو في مصلحة العرب؛ لأنّهم أقدر النّاس على إدراك ما يصلحهم وينفعهم، ولكن الحقيقة أنّ من اختار ما يترجم هو السّفارة الأمريكية واليونيسكو!»[1]

فيجب مراعاة التّأثير السّلبي لحركة التّرجمة على الفكر الإسلامي بالتّمييز بين ما هو نافع وما هو رديء وبين ما تحتاج إليه الأمة وما لا تحتاج إليه، فهم يرمون إلى خلق مرحلة مشابهة لما حصل سابقا عندما ترجمت الفلسفة اليونانية والفارسية، والهندية، وهدفهم إغراق الفكر الإسلامي في الظلام.«ولقد كان المسلمون في تطلّعاتهم إلى التّراث اليوناني وإنما يقصدون العلوم الطبيعيّة، والعوم الرّياضية، ولم يكونوا في حاجة إلى الفكر اللاّهوتي الذي يسمونه الفلسفة الإلهية، فقد كانت هي مما استغنى عنه المسلمون بالإسلام، ولكن موجة الترجمة ما لبثت أن خرجت عن قواعدها التي رسمت لها الشاطرة الذين تدافعوا إلى ترجمة هذه الآثار فأحدثوا ذلك الأثر الخطير من البلبلة والاضطراب» [2]

جـ . 3 . قضية إفساد المرأة باسم الحرّية الشّخصية والدّعوة إلى المساواة بينها وبين الرّجل:

لا يمكن المساواة بين الرّجل والمرأة، فلكلّ حقوقه وعلى كلّ واجباته، فلا يمكن أن تكلّف الرّجل بمهام المرأة، ولا يمكن أن تكلّف المرأة بمهام الرّجل، وإلاّ سيكون ظلما عامّاللجانبين فلا يمكن المساواة بينهما يعملان في الإسلام بالعدل والإنصاف.

لكن أعطت الحضارة الغربيّة المعاصرة للمرأة حقّ الفساد باسم الحرية الشّخصية، وسمحت بإفساد أنوثتها وذلك بنشر الأفكار التضليلية مثلا بإظهار استبداد الرّجل بالمرأة

---

[1] ينظر: محمّد محمّد حسين، حصوننا مهددة من داخلها، ص119-120.

[2] أنور وجدي، شبهات التّغريب في الفكر الإسلامي، ص196-197.

في الإسلام كذبًا وزورًا بإظهار صور متعددة تظهرها مظلومة مقهورة، لذا سعت نظريات التغريب إلى خلع الحجاب ورفع قوامة الرجل عن المرأة؛ فالإسلام فرض قوامة الرّجل على المرأة كما قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[1]

وهي تصوّرها بأنّ هذه القوامة هي إذلال وسيطرة حتى تكون المرأة بعيدة عن أسرتها وبالتّالي يختلُّ التّوازن في المجتمع المسلم مما نتج عنه تفلّت الفتاة من رقابة الأسرة.

كما دعت حركة التّغريب إلى الاختلاط بين الجنسين حتى تتحقق التنمية للمجتمع، وعملت على إقحام المرأة في مجالات العمل كافة في مجال السياسة والإدارة والفنّ والرياضة دون ضوابط تكفل سدّ حاجة المرأة مع حفظ كرامتها وصيانة عرضها. [2]

ليتمّ القضاء على رسالتها الحياتيّة أمّا وزوجة، ومربيّة للأجيال وسكنا وطمأنينة لراحة واستقرار المنزل إلى جعلها سلعة مهانة.

ومن المؤسف من تولّى هذا الصّراع في الثقافة والفكر هم ينتمون إلى الإسلام والعروبة، وما يزيد الأمر بشاعة وفاؤهم وإخلاصهم لقضية التّغريب.

2 . الوسائل التّعليمية والتّربوية:

بعدما انهزم الاستعمار العسكري أمام الأمّة العربيّة الإسلاميّة لجأ المستعمر إلى الغزو الفكري؛ لأنه مدرك أهميته التّعليم في تطوّر المجتمع وأصبح سلاحا ضدّ الدّول الإسلامية حتى لا تقوم لها قائمة مرة أخرى، فالغزو الفكري والتّربوي يهدف إلى تدمير الأفراد والجماعات، وتزيّف التّاريخ وتشوهه من جانب آخر، وذلك عن طريق:

---

[1] سورة النساء، الآية 34.

[2] ينظر: عبد العزيز أحمد البدّاح، حركة التّغريب في السعودية، ص13.

أ . **المدارس:**

تعتبر المدارس بمثابة الحجر الأساس للمعرفة التي يكتسبها النشء، فعمد الاستعمار على بناء المدارس في المستعمرات ومحاربة اللّغة العربيّة بهدّم المساجد والمدارس الوطنية لإنشاء مشروع التّغريب في مجال التّعليم المبني على الانحلال الخلقي والبعد عن الدّينف«هذه العملية التّغريبية غرسها المستعمر بدقّة ووضع لها الخطط فنبتت بسرعة بتبديل الإرث الإسلامي عقيدة وثقافة وسلوكًا بالقيم الأوروبية، والثقافة الغربية وأوهمهم بصلاحيتها لهم.»[1]

لم يكتف ببناء المدارس الأجنبية إنما أنشأ الجامعات حتى يرتوي الشّباب المسلم من الثقافة الغربية ويتخلّى عن ثقافته الإسلامية فيصاب بالاضطراب وعدم التّوازن في تحديد هويّته اللغوية الغربية أغوته فانسلخ عن هويته وبالتّالي يتوه ويضيع في معالمها ولا يستطيع تحديد وجهته.

تجاوز التّغريب دوره إلى كثير من هذا، حيث صارت هذه المدارس مبشرة بالمسيحية لأنّها كانت تحت حماية المستعمرإذ«حارب الاستعمار التّعليم الدّيني الذي كان موجودا في الكتاتيب فظلَّ في حملته معتمدًا على جهد المواطنين الذاتي، وأعلى من شأن التعليم العلماني ومكّنت من خرّجيه في مفاصل الدولة حتى يكون مرغِّبًا للأجيال القادمة، وفي الجانب الآخر ظلَّ التّعليم الدّيني منفّرًا للأجيال القادمة، لأنهم يرون الإهمال الذي يعاني منه خرجي التّعليم الدّيني، والاهتمام والوضع الجيّد لخرجي المدراس العلمانية.» [2]

---

[1] ينظر، :إسماعيل الفاروقي، أسلمة المعرفة، دار البحوث العلمية، الكويت، د، ط، 1984، ص32.

[2] ينظر، شلتاغ عبّود، قضايا إسلامية معاصرة، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص90-91.

هذه السّياسة المتّبعة في كل المستعمرات العربية الإسلامية من تركيا عاصمة الدولة العثمانية سابقا، بلاد الشام، مصر، العراق، إلى بلاد المغرب العربي، أما في الجزائر كانت سياسية مدمّرة وذلك «بغرس أذهان المتعلمين أنّ الجزائر جزءٌ من فرنسا، ومحاربة الأئمة وتهجير العلماء وقتلهم وحرق المكتبات، فقد أدرك المستعمر الفرنسي أهمية مقوّمات الشّعب الجزائري المتمثلة في دينه الإسلامي ولغته العربي، فعمل بكلِّ السّياسات الهمجية للقضاء عليها طيلة مئة واثنين وثلاثين سنة.»[1]

ب . الابتعاث الخارجي:

إنّ سياسة الابتعاث الخارجي هي سياسة قديمة كانت تسعى لها الدّول والمنظمات لكسب ولاء المبتعثين والتّأثير في أفكار توجهاتهم، وسحب الكفاءات من بلدهم الأم حتى تكون هشة خالية من الوعي؛ ليسهل الإطاحة بها.

لذا قام بهذه الخطة ((**مصطفى أتاتورك** في تركيا و«**محمد علي** في مصر بإرسال الشّباب الصغار بأعداد متزايدة؛ ليتعلموا في أوروبا من دون تحصين مسبق، فيتعلّموا العلم والفساد معًا في غالب الأحيان، فيعودوا إلى أوطانهم ليكونوا رأس الحربة المتّجهة إلى الغرب الذي يجرّ بلاده كلّها إلى هناك.»[2]

جـ . المناهج التّعليمية:

وهذا المجال يعدّ من أخطر الاتجاهات التّغريبية في التّعليم، وذلك بغرس معالم ومفاهيم ثقافية وتربوية في نفوس المسلمين، لِتُكوِّن فيهم نزعة الاحتقار لقيمهم والاعتزاز

---

[1] ينظر، بوعافية أحمد، التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي (1830-1962)، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018/06/14، عن https: //dspace-univ-msilla.dz.

[2] ينظر، محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص196.

بقيم الغرب، بحيث تقوم هذه المفاهيم بتحريف التاريخ الإسلامي وتشويه مبادئ الإسلام وثقافة حتى يشعر المسلمون بالنقص ويحملهم على الخضوع للنزعات الغربية، بالإضافة إلى حرصه خلال حكمه للدّول الإسلامية على فرض مناهج العلوم المرتبطة بدراسة الإنسان والعلوم المرتبطة بالطبيعة دراسة عقلانية، وهذه المناهج فرضت في غير ميدانها لا أخلاق ولا تاريخا ولا حضارة. «فالتّغريب محاولة لحمل عالم الإسلام على قبول ذهنية الغرب والانصهار في بوتقة فكره ومفاهيمه والتّحرك من خلال المناهج والوسائل التي فرضها على العقل الإسلامي العربي، والنّفس الإسلامية، وهذه هي أخطر مراحل التعليم.»[1]

د . التّراث:

مجال مهم للتّغريب لما يضمه من الدّين واللغة والفكر والأخلاق والفنّ، فعمل التّغريب على العبث بالتراث من خلال اقتلاع العقيدة من قلوب المسلمين ومحاولتهم تزييف السّيرة النّبوية((بأنها أسطورة، ووصف النبي بالعبقرية دون الرّسالة، وتصوير الإسلام أنّه ثورة الفقراء ضد الأغنياء، وهذا افتراء وتقليل من شأن الرّسالة وهذه التفسيرات وغيرها التي يزعمها المستشرقون المادّيون عن نبينا وعن الرّسالة، إنما أنها ظهرت من حقدأو جهل أعجز أذهانهم عن تصوّر شمولية ديننا وعالمية رسالة نبيّنا.»[2] فهم يريدون أن يجعلوا من الإسلام عاجزًا عن تأمين نفسه بإنكار الوحي وجعله محمدا رسولا للحرّية.

كما قلّل الغرب من شأن أعلام المسلمين وإبراز شخصياتهم المشبوهة، من خلال الاستهزاء والسخرية منهم والحطّ من شأنهم للاستنقاص من الانتصارات التي حققوها في مختلف المجالات وانتسابها إليهم؛ ليكونوا هم أهل الحضارة، والحط من قدر أهل العلم

---

[1] ينظر، أنور وجدي، شبهات التّغريب في غزو الفكر الإسلامي، ص18.

[2] ينظر، المرجع نفسه، ص268.

والصّلاحصفة من صفات الكافرينلقوله تعالى:﴿وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾[1].

ومن سياستهم إبراز زعامات علمانية وتبييض صفحاتهم وتمجيد تاريخهم بالبطولات بعد صناعتها كما حصل **لسعد زغول وجمال عبد الناصر** في مصر[2]، والمفارقة ينادون في الوقت ذاته بالإصلاح في كلّ المجالات: مجال التعليم، مجال الصحة، مجال الاقتصاد...

أدرك الاستعمار أن اللغة العربية أهم مكوّن للهوية العربية الإسلامية لأنها تتمتع بوظيفة دينية بالإضافة إلى وظيفتها كلغة، فهي لغة القرآن الكريم ودستور الأمة، ولغة العلم والعلماء، هذه اللغة قد نقل العلم بواسطتها إلى أوروبا.

لقد استخدم الاستعمار الغربي عدة وسائل لمحاربة اللّغة العربية «كإشاعة أنَّ اللغة العربية لا ترقى إلى مستوى التّحضّر، وتشجيع تعليم اللغات الأجنبية خاصة الإنجليزية والفرنسية وحصرها في المساجد والمدارس الدينية واتهمت بالتّخلّف وعدم الكفاءة في ميادين العلم والإدارة وبتشجيعهم أيضا بالرجوع إلى اللغات المحلية كما في نيجيريا لغة الهوسة، واتهم حروفها بعدم المرونة في النطق، فاستجاب لهذا الزعيم **مصطفى أتاتورك** الذي غيّر الحرف العربي واستبدله بالحرف اللاّتيني في اللغة التّركية، وبالإضافة إلى ذلك شجع الاستعمار اللّهجات العامّية لطمس الفصحى واتهم اللغة العربية بالصعوبة وغير القابلية للتّحديث»[3]

---

[1] سورة الأنبياء، الآية36.

[2] محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص307.

[3] ينظر، شلتاغ عبّود، قضايا إسلامية معاصرة، ص108-110.

لم يكتف به الحدّ هنا بلّ تطاول على القران الكريم وادعى أنه كتاب لم يعد نافعا، لأنه لازال يتحّدث عن التين والزّيتون.

3 ـ الوسائل الإعلامية:

إنّ الإعلام لا يقل أهمية عن باقي الوسائل، فهو يسهم في إيصال المعلومة لأكبر شريحة ممكنة، ومن خلاله تَمرّر الأفكار عبر طرقه المتنوعة: الصّحف والكتب، والسّينما، والمسرح، والإذاعة، والتّلفاز، وكلّما تقدم الزمن ظهرت أمامنا وسائل إعلاميّة جديدة تؤثر على الجماهير وآخرها ما نراه في شبكات التّواصل الاجتماعي الإلكترونية.

فشلناغ عبّود يتساءل: «إذا تتبّعنا وسائل الإعلام المعروفة من صحف ومجلاّت وكتب وراديو وتلفزيون وانترنيت ووكالات أنباء ومحطّات فضائية، فماذا نرى وإلام تنتهي؟ هل هذه الوسائل تساعد أبناء العالم الإسلامي في رسالتهم الحياتية، وأمانتهم الدينية، وتبصّرهم بمسؤوليتهم، وتجعلهم يَعُونَ وظيفتهم في هذه الدنيا؟»[1] طبعا: لا؛ لأنه من الواضح أن كلَّ هذه الأجهزة الإعلامية تعمل على محاربة الإسلام والمسلمين حربًا إعلامية نفسية تعمل على تشويش الأمة الإسلامية واضطرابها وتشكيك جهودها ورغبة في تدمير صمودها ومقاومتها، حتى تحوّلها إلى أمة غربية تخدم المصالح الأجنبيّة، بالإضافة إلى ذلك الحرب السّلوكية بالتّحكم في عقل الإنسان والتّأثير بسلوكه، وذلك بتسليط الضوء على إيجابياته مما يحقق للإنسانالمتعة والتّرفية وما يقدّمه من تسهيلات في حياته، هذا البريق عمد إلى التّحكمفي تصرفات الإنسان وسلوكه، فتعرض البرامج المتدنية التي تجعل من المسلم مستهلكًا باسم العصرنة ومواكبة الأحداث والتّرفيه في ظاهرها، لكن ما خفي أعظم فهدف هذه الرسائل تولّد مسلمًا محبطًا ناقصًا تتحكم فيه غرائزه «وهل في هذا التلفزيون غير البرامج التّرفيهيّة ومعظمها متدنّي الذّوق يخاطب

---

[1] شلتاغ عبّود، قضايا إسلامية معاصرة، ص104.

الغريزة ومن عجب أن دُولاً إسلامية وليست أجنبيةتنفق على هذه البرامج ملاييناالدولارات، وسوف يكون العجب فاجعة إذا عرفنا أن هذه الأموال تستجلب أو تستحلب من طقوس عبادية نؤديها قربة إلى الله، بينما يذهب ريعها إلى الشيطان الذي نسميه وسائل التّرفيه برقصه وغنائه وفولكلوره ومسرحه في تليفزيوننا العربي ومحطاته الفضائية.» [1]

وما مقّت الأمر أكثر هو استغلال العبادات فضرب الثّوابت كما ورد في قول الكاتب مثل؛ عرض كل الانحرافات والإثارات الجنسية في شهر رمضان بحجة أنّ نمثّل الواقع، فلو صرفت أموالها على الواقع لغريته، والملاحظ أيضًا الأخبار عن البلاد الإسلامية منتقاة؛ لتُحْبِطَ كلّ من يريد معرفة الإسلام حتى تحقره وتجعل هذه الوسائل من الغرب مصدر كل إلهام وإبداع ورقي، ولكن كما قال **المتنبي**:

نَعِيبُ زَمانَنَا والعَيّبُ فينَاومَا لِزَمانِنَا عَيْبٌ سِوَانَا**

نحن المسؤولون أمام ما يصدّر لنا في حسن انتقاء واختيار فوائد وسائل الإعلام باختلاف أنواعها، بحسن استغلالها ومراقبة مضارّها.

لتحمي الأسرة المسلمة وجودها أمام هذه الحرب الإعلامية الباردة أن تتخذ إجراءات صارمة ضدّها: بالتّمسك بكتاب الله وسنة نبيّه محمّد -ﷺ- ومتابعة الأبناء ومرافقتهم حتى يعون مدى خطورة سحر هذه الوسائل خاصة شبكات التّواصل الاجتماعي حتى لا يقعون ضحايا لمآربها فهي استلاب للعقل والرّوح.

ولولاالإسلام وعظمته، ولولا تاريخه الممتد إلى أكثر من أربعة عشر قرنًا، لكان الإعلام التغريبي ووسائله أغرق المسلمين في جاهلية العصور كلّها، ولكنّه الله الحافظ

---

[1] شلتاغ عبّود، قضايا إسلامية معاصرة ، ص105.

الذي لا يهب الضّعيف قوة والتّائه هدىً على شرط التّوكل عليه لا التّواكل والعمل، والمقاومة والتّصدي والبناء.

4 ـالوسائل السياسية والعسكرية

لقد أدرك الغرب أنّه من خلال سيطرتهم على السّلطة العربيّة الإسلاميّة، وإضعافها سياسيًا وعسكريًا ستسهل عليهم مهمة هدّم الإسلام؛ لذلك كانوا يسعون لإسقاط الخلافة الإسلامية عسكريّا خلف الوسائل الفكرية والإعلامية وغيرها.

وهذا ما حصلفي القرن الخامس، والسادس، والسابع هجري من خلال الصّليبيّين والتّتار في المشرق والفرنجة في المغرب حيث دخل للغزو الفكري لهدم الفكرالإسلامي عبر الحركات الباطنية والفلسفات اليونانية والفارسية والهندية، لإثارة الاضطراب وهدم الإسلام، فبعد هذه الحركات سهل ضرب المجتمع الإسلامي في بغداد بالتّتار، وفي الشّام بالصّليبيّين وفي الأندلس والمغرب بالفرنجة، والغزاة على مرّ التّاريخ الإسلامي يعلمون القوة الذاتية والمعنوية والنّفسية التي صنعها الإسلام في نفوس أبنائه، ويعلمون أولا نفسيا وعقليا وروحيا[1].

وفي العصر الحديث كانتللغربيّين جهود كبيرة في تركيا للقضاء على الخلافة الإسلامية التي تعدّ المركز السّياسي والعسكري للأمة الإسلامية، وبنجاح الحملات التّغريبية في هاتين المنطقتين سهّل عليهم نقل الأفكار التّغريبية لباقي البقاع المسلمة بآليات سياسيّة أهمّها:

أ . **الاستعمار**أو"الاستعمارية هي نزوع الدّول الكبيرة لفرض سلطانها وإرادتها على البلدان الأخرى والاحتفاظ بهذه السّيطرة بمختلف الوسائل السّياسية والاقتصادية

[1] ينظر، أنور الجندي، شبهات التّاريخ، ص176-177.

والعسكرية ومحاولة تغيير هوية البلدان المستعمرة وربطها بالدول الاستعمارية ربطًا عضويا ولغويا وثقافيا واقتصاديا واستغلال ثرواتها وأيضا إقامة المشروعات المتعددة فيها.» [1]

وهذا يعني أنّ الدّول المستعمرة تعمل على استغلال مجهودات وموارد الدول المحتلّة دون أن تقوم بإضافة شيء إلاّ بما يخدم مصالحها، وللاستعمار غاياته ومناهجه في الغزو الفكري للدّول التي تقع تحت وطأته والتّشكيك في دينها وتاريخها ولغاتها والطّعن في ماضيه؛ لإنشاء جيل لا يعرف شيئًا عن دينه.

ولا يمكن أن يستغني المستعمر عن المستشرق فالعلاقة قويّة كما وصفها **محمود شاكر** بقوله: «الاستشراق هو عين الاستعمار الذي يبصر ويحدّق بها، ويده التي بها يجس ويبطش، ورجله التي بها يمشي ويتوغّل، وعقله الذي به يفكر ويستبين، ولولاه لظلّ في عميائه يتخبّط»[2]هكذا يقوم المستشرقون بدراسة العلوم الغربية وينقلونها إلى البلاد الإسلامية، كما قاموابدراسة تاريخ الشّرق ولغاته وآدابه، وعلومه، ومعتقداته حتى أتقنوها وكان هدفهم النّيل من الثّقافة الإسلامية واستبدالها بالثّقافة الغربية، وإيهام الشّعوب العربية الإسلامية بأن العلم والحضارة موطنها الغرب، فمن أراد الرّقي والتّحضر فعليه بتعلّم اللغات الغربية وتقليد الغربيّين في كلّ شيء.

ب . الانقلابات العسكرية:

من أشهر الانقلابات ما حصل للخلافة الإسلامية في تركيا على يد**أتاتورك** ((التي رفضت إقامة الدّولة اليهودية على أرض فلسطين، لم يكتف بإزالتها بل نكّل بالمسلمين

[1] إسماعيل عبد الكافي، معجم مصطلحات عصر العولمة، الملكية الفكرية، د. ب، د. ط، 2002، ص45.

[2] محمود شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د. ط، 1997، ص78.

وقتل العلماء المتمسكين بالدّين؟ وألغى الحروف العربية ومنع الآذان باللغة العربية، وأمر بإزالة الحجاب وألغى كلَّ أثر للدّين في واقع الحياة)). [1]

هكذا عمل اليهود على التّخطيط لحرب الإسلام في المنطقة لإقامة **أتاتورك** آخر وهو **جمال هبد النّاصر** في مصر وهذا ما أكده الشيخ **محمد قطب** بقوله: «أقيم **جمال عبد النّاصر**، ليقوم بنفس الدّور... ولنفس الأهداف وإن اختلفت الوسائل بعض الشيء، ما بين **أتاتورك** الأول **وأتاتورك** الجديد»[2]لبروز حكام وزعامات علمانية وخلو السّاحة من القيادة الدّينية تقوم الشّعوب الإسلامية نحو متاهة كبيرة.

جـ . التّبشير:

قال المبشر النّصراني **زويمر** في المؤتمر التّبشيري السّنوي في القدس عام 1953م: «إّنكم أعددتّم نشئًا (يقصد شباب المسلمين) لا يعرف الصّلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقا لما أراده الاستعمار المسيحي، لا يهتم بالعظائم، ويحبّ الرّاحة والكسل ولا يصرف همّه في دنياه إلاّ في الشّهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشّهوات يجود بكل شيء، إن مهمتكم تمت على أكمل الوجوه، وانتهيتم إلى خير النتائج، وباركتم المسيحية، ورضي عنكم الاستعمار، فاستمروا في أداء رسالتكم فقد أصبحتم بفضل جهادكم المبارك موضع بركات الرّب.»[3]

ما يريده الغرب تنصير المجتمعات ونشر المسيحية بالدعوة إلى الإصلاح والتّطور على منهج نصراني وهذا ما أتى في القول، وذلك بتنشئة أجيال بالصيغة التي يريدونها

---

[1] ينظر، محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص134.

[2] المرجع نفسه، ص335.

[3] ينظر، المرجع نفسه ،ص366.

بمسخهم حتى يصبحوا مسخّرين لتدمير أنفسهم بأنفسهم هم كانوا يخشون شيئًا واحدًا هم الشّباب لأنهم قوة خطيرة إذا اجتمع على هدف معين، فنجحوا في تمييعه وإتلافه.

د. .فصل الدّين عن الدولة:

بمعنى عزلالحكم والإدارة والسّياسة عن الدّين وذلك بفصل الدّين عن الحياة، وخلق جوّ من الحرّيّة للعيش بمعتقدات غربيّة على أيدي الغرب وفي أحضانهم، وجعل الدّين محصورا في المساجد والزّوايا، قال الشيخ **النّدوي**: ((وهذا ما نجحت فيه قبلا الحضارة الغربية بفصل الكنيسة عن السّياسة، وإبعادها عن أسس المسيحية، ثم تحوّلت إلى ديانات أخرى، وهذا ما نراه في البلدان الإسلامية حاليّا أصبح لها اسمين: جماعة دينيّة، وجماعة سياسيّة ... فجمعت النّصرانية الأمم الأوروبية تحت لواء الدّين وجعلت من العالم النّصراني عشيرة واحدة، وأخضعت الشّعوب الكثيرة تحت الكنسية فغلبت العصبية القومية والنّعرة الوطنية، وشغلت الأمم عنه، ولمّا قام **لوثر** سنة 1483م بحركته الدّينية الإصلاحية الشّهيرة ضدّ الكنيسة، عندها انهزمت وانفرط عقدها، استقلت الأمم وأصبحت لا تربطها رابطة.» [1]

وقال أيضا: «صارت بعض الشّعوب الأوروبية تنظر إلى المسيحية كنزيل يريدون أن ينفوه من بلادهم قال بروفيسور ألماني: "لأي شيء يدرس أولادنا تاريخ أمة أجنبية، ولماذا يقصّ عليهم قصص إبراهيم وإسحاق؟ وينبغي أن يكون إلهنا أيضا ألمانيا""[2]

و نتيجةذلك الانحطاط الدّيني أو فصل الدين عن السياسة انخفاض مبادئ الدّين والأخلاق والقيم الإنسانيّة.

---

[1] أبو الحسنين النّدوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، د.ط، د.ت، ص174.

[2] المرجع نفسه، ص175.

5 الوسائل الاقتصادية والمالية

أ . إخضاع المسلمين للنّظم المالية الظالمة:

استطاع الغرب التّأسيس لنظمهم الفاسدة في بلاد المسلمين كإباحة الرّبا عبر المؤسسات والبنوك الماليّة، ونشر الفكر الشّيوعي والرأس مالي بين المسلمين، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]

أكّد الشّيخ **سيد قطب** عند تفسيره للآية الكريمة: ((على إرجاع الجاهليّة بظهور معالم الرّبا وبالتّالي يجعل المال حكرا على فئة من الناس وهذا ما تنادي به الماركسية، والرّبا تتصادم مع الإيمان، لا تراعي الأخلاق وتجعل الإنسان سيد الأرض غير ملزم بإتباع أوامر الله والنّظام الرّبوي نظام معيب من الجهة الاقتصادية حتى اعترف به بعض الأساتذة الغربيّين أنفسهم فهو ينشئ أنظمة عصابات المال في كل المجالات. [2]

ب . التّرويج للتّرف:

من أسباب سقوط وانحراف الخلافات الإسلامية في بعض العصور السّابقة اللّعب بالثّروات والأموال والإسراف في صرف أموال خرافية من بيت مال المسلمين على الشعراء المدّاحين والحفلات والمناسبات... وهذا أنموذج من العصر العباسي "وكان زواج أخو

---

[1] سورة البقرة، الآية 175.

[2] سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، المجلد01، ج1، ط1، 1973م، ص318-321.

الأمين ابن السّيدة زبيدة من أبيه الرّشيد –كما نعلم- أن نفقات هذا الزّواج كانت تتراوح بين خمسة وثلاثين مليون درهم وسبعة وثلاثين مليون درهم.»[1]

وفي هذا الجوّ العام كثرت الجواري بأعداد خيالية فوجدت معها مظاهر الانحراف والفساد، وبدأت الخلافات تنحرف عن مفاهيمها الإسلامية لقوله تعالى: ﴿إِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾[2]

وتعلم المؤسسات التّغريبية تاريخ العرب في اعتيادهم حياة البذخ والتّرف والاستهانة بمال الله في سبيل اللّذّة والشّهوة والفخر والزينة حيث أرادت إغراقهم في مستنقعات التّبذير والإسراف حتى لا تقوم لهم قائمة، ويبقى همّ العرب الانشغال خلف الملذات خاصة قادتهم وهذا ما يحصل اليوم.

جـ . الدعوة إلى الدّروشة والزّهد الزّائف:

لم تحصل الانحرافات إلا بتخلي المسلمين عن عقيدتهم وإتباعهم لمساعي الغرب وهذا بالسّير في ممرات الغيّ، وترك الطريق معبّدًا لهم بانتهاك واستغلال الثّروات التي يقوم عليها الغرب ويسيطر على بلاد المسلمين بفضل ثرواتهم، بمعنى يدفعون ثمن تخلّفهم وضعفهم، ومن بين الوسائل التّركيز على التّصوف وتزكية النّفس فقط، وهذا مخالف لما قاله الله تعالى: ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[3]

---

[1] محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص124.

[2] سورة الإسراء، الآية 16.

[3] سورة البقرة، الآية 172.

والأمر ليس من باب ترغيب النّاس للتزهد والبعد عن الدّنيا كما زهد سيدنا **أبي ذر الغفاري** -رضي الله عنه- في البعد عن الدّنيا، بل جعل هذا الأمر عمدًا فيكون الفقر واقعنا في المجتمع المسلم، وتزيد نسبة البطالة حتى ينشغل النّاس بأمنية الحصول على كسرة خبز ليسعوا الحصول عليها طوال اليوم، وهذا ما يحدث فعلاً

رابعا : أعلام التّغريب بين الأدباء والمفكّرين

إنّعوامل التّغريب الثّقافي كثيرة ومختلفة ((فمنها القديم الذي يرجع إلى ظروف تاريخية قديمة، ومنها ما هو حديث ومستمر في وجوده وتأثيره يعايش المسلمين في حياتهم المعاصرة كتقبل نفوس الناس بإرادتهم في الثقافة والظّروف المحيطة بهم»[1] ومن الأسباب التاريخية ((الحملة الصّليبية الفرنسية على مصر بقيادة **نابليون بونابارت** عام 1798التي درّست على أساس انفتاح مصر على العالم المتحضر أو بمعنى أصح بداية خروجها من النّور إلى ظلمات التّغريب، ومن مآثرها الدّور الهام الذي قام به **محمد علي** بتنفيذ مخطّطاتها عند خروجها من مصر كوصي لها على تحقيق أهدافها عن طريق مجموعة من السّبل أهمّها: البعثات المصرية إلى أوروبا؛ أرسل الشبان الصّغار بأعداد متزايدة غير محصّنين بشيء لينهلوا من العلم ما شاءوا ومن الفساد ما شاءوا ثم يعودوا بالإستراتيجية المخطّط لها لتجرّ البلاد والعباد نحو الغرب. [2]

ومن المفكرين والأدباء الذين برزوا في مجال الدّعوة إلى التّغريب الثّقافي والارتماء في الأحضان الغربيّة، فهم قد دعّموا هذه الدّعوة بإنتاجهم وساهموا في تشجيع الفكر التّغريبي، نشير إلى بعضهم:

- **رفاعة رافع الطهطاوي:** أحد الأئمة العظام! -أو هكذا كان يوم ذهب إلى فرنسا- الذين رافقوا طلبة البعثات الأوروبية حتى يعلموهم أمور دينهم، لكن **الطهطاوي** عاد وهو أحد أئمة التغريب.

---

[1] فريد محمد أمضغشو، التغريب مفهوما وواقعا، ص.15

[2] محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص191-196

استقبله أهله بالفرح يوم عاد من فرنسا بعد غيبة سنين فأشاح عنهم في ازدراء ووسمهم بالفلاحين لا يستحقون شرف استقباله.

ألف كتابا عن أخبار باريس ودعا فيه إلى تحرير المرأة وقال عن الرّقص: حركات رياضية موقعة على أنغام الموسيقى فلا ينبغي النّظر إليه أنه عمل مذموم[1]

كان **نصارى الشّام** من المسارعين لتلقي الثقافة الوافدة الفرنسية والإنجليزية، شجّعوا العلمانية التّحريرية؛ لعدم إحساسهم بالولاء تجاه الدّولة العثمانية، ودعوا إلى الاقتداء بالغرب وتتبّع طرقه، فظهر ذلك التأثير في الصحف التي أسسوها وعملوا فيها: أصدر **بطرس البستاني** صحيفة الجنان 1870م التي استمرت ست عشرة سنة وقد تولى فيها منصب التّرجمة للتوراة مع الأمريكيين **سميث وفانديك** وتمكنها من العمل في الوظائف والأعمال العامة ألف كتاب "تحرير المرأة" وكتاب "المرأة الجديدة" ضمنهما كثيرا من القيم الغربية حيث يقول: «هذا الداء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه، وليس له دواء إلا أن نربي أولادنا على أن يتعرفوا على شؤون المدينة الغربية ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها ونرجو أن لا يكون بعيدا»[2]

قد قام قاسم أمين وهو تلميذ محمّد عبده إلى تحرير المرأة وتمكينها من العمل في الوظائف والأعمال العامّة ألّف كتاب تحرير المرأة وكتاب المرأة الجديدة ضمّنها كثيرا من القيم الغربيّة، حيث يقول: ((هذا الدّاء الذي يلزم أن نبادر إلى علاجه، وليس له دواء إلاّ

---

[1] ينظر، محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص195.

[2] ينظر، التغريب: التأسيس وأبرز الشخصيات، طريق الإسلام، في: 2024/04/10، الساعة: 13: 10، عن https: //ar.islamway.net

أن نربّي أولادنا على أن يتعرّفوا على شؤون المدنيّة الغربيّة ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها، ونرجو أن لا يكون بعيدا)) [1]

- ضياء لوك آلب:

من قادة التّغريب في تركيا وواضعي الأسس النّظرية للدّولة التّركية الحديثة، قال الأمريكي **هارلد سميث** عنه: "وضياء هذا من الرّواد الأوائل للانسلاخ عن الحضارة الإسلامية والارتماء في أحضان الغرب."[2]

حيث يرى أن الدّين لا علاقة له بالحضارة بقوله: "لا يصحّ ارتباط الحضارة بالدين... ولا يصحّ أن تسمّى الحضارة الشّرقية بالحضارة الإسلامية"[3]

- أحمد خان:

دعا إلى الحضارة الغربية والانسلاخ عن الحضارة الإسلامية بقوله: " لا بد أن يرغب المسلمون في قبول الحضارة الغربية بكاملها حتى لا تعود الأمم المتحضرة تزدريهم ويعتبروا من الشعوب المتحضرة المثقفة"[4]

- طه حسين:

اتّبع **طه حسين** في تأليف كتابه الذي سمّاه "الشّعر الجاهلي" المنهج الديكارتي، المعروف بمنهج الشّك من أجل الوصول إلى اليقين في هذا الكتاب طعن صريح في

---

[1]فهد خليل، العربية بين التّغريب والتّعريب، دار يافا العلميّة، عمّان، الأردن، 2006، ص126.3 فهد خليل، العربية بين التّغريب والتّعريب، دار يافا العلميّة، عمّان، الأردن، 2006، ص126.

[2]المرجع نفسه ،ص128.

[3] المرجع نفسه، ص129.

[4] المرجع نفسه، ص 126.

القرآن العظيم حيث نسب له الخرافة والكذب، فأثار غضب شيوخ الأزهر والذي تقدم بالبلاغ الشّيخ **خليل حسنين** –رحمه الله– وأتى في هذا الكتاب بما يخلُّ بالنظم العامة، ويدعو النّاس للفوضى. [1]

قال**طه حسين:** "والتعليم عندنا قد أقمنا صروحه وبرامجه منذ القرن الماضي على النحو الأوروبي الخالص، ما في ذلك شكّ ولا نزاع نحن نكون أبناءنا من مدارسنا الأوّلية والثانوية والعالية تكوينا أوروبيا لا تشوبه شائبة."[2]

فهؤلاء المفكّرين والأدباء برمّتهم، قد شربوا من منبع الثقافة الغربية حتى ارتووا حتى سقوا بها تلاميذهم ومن اتّبعهم حتى يقوموا بتبليغ الأجيال من بعدهم مدى صغر الحضارة الإسلامية أمام رقيّ وتقدم الحضارة الغربية ومن هؤلاء التّابعين:

كان **زكي مبارك** في مقدمة تلاميذ **طه حسين**، درس على أيدي المستشرقين وسبق له أن قدّم أطروحة للدكتوراه في الغزالي والمأمون مهاجما الغزالي هجوما عنيفا. [3]

ومن الجزائريين المتأثرين بالثّقافة الغربية نجد:

رشيد بوجدرة الذي ترجمت أعماله إلى أكثر من 40 لغة حتى أنه اعترف بإلحاده فقال: "أنا أفضل نفسيملحدًا نزيها على أن أكون مسلما منافقًا"

---

[1] ينظر: خيري شلبي، محاكمة طه حسين، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ط2، د. ت، ص55.

[2] فهد خليل، العربية بين التّغريب والتّعريب، ص126.

[3] ينظر، التغريب: التأسيس وأبرز الشخصيات، طريق الإسلام، في: 2024/04/01، الساعة: 10: 20، عن https: //ar.islamway.net

وهي المرة الأولى التي يشهر فيها مواطن جزائري إلحاده علنا مباشرة على قناة تلفزيونية ويكشف عن معتقداته الدينية، ولم يكتف بإلحاده حتّى إنه اتهم بأن محمدا إنسانا ثوريّا. [1]

ومن الجزائريين أيضا الذين احتضنوا التّغريب ودعّموه بكتاباتهم الغزيرة المؤثرة في جمهور عريض، استقبل أعماله وأتى عليها حتّى فازت في مسابقات عديدة**واسيني الأعرج**الذي هو موضوع بحثنا، والذي نسعى فيه أن نوضح مدى تأثّر الروائي **واسيني الأعرج** بثقافة التّغريب.

[1] طاهر هاني، الكاتب الجزائري رشيد بوجدرة "أنا ملحد"، France24، في: 2024/04/12، الساعة 13: 25، عن https: //www.france24.com

خلاصة الفصل:

انطلاقا من حديثنا عن حقيقية التّغريب الثّقافي وتحديد أهدافه ووسائله العديدة توضّح لنا أنّه أخطر من الغزو العسكري، ذلك أنّ الاستعمار العسكري حدث وقتيّ قد يطول وقد يقصر ثمّ يذهب وتعود الأمّة المستعمرة إلى ثقافتها الأصليّة وحرّيتها التّامّة، ربّما بصورة أقوى وأحسن من السّابق , أمّا التّغريب الثّقافي فهو أخطر من ذلك بكثير، لأنّه يضرب الأمّة في أصالتها ويهجم على ثوابتها التي لا غنى عن وجودها.

الفصل الثانـي:

تمظهرات التّغريب الثّقافي وتجلياته في النّصّ الرّوائـي عند واسينـي الأعرج

أوّلا: الفضاء التاريخي والسياسي

تمهيد

1 . المدّ التّغريبي أصبح خطرا على الهويّة الوطنيّة

2فرض سياسة المنفى كهوية

ثانيّا: الفضاء الثّقافي

تمهيد

1 انتماءات عقائدية تغريبية

2 . تشويه الموروث الثّقافي

ثالثا: الفضاء الاجتماعي

تمهيد

1 الأسرةوالعلاقة بين الفردوالمجتمع

2 الدّعوة إلى الانحرافوالسّقوط الجنسي

أولا:الفضاء التاريخي والسياسي

تمهيد:

سنحاول في هذا الفضاء دراسة الفضاء السّياسي التّاريخي الذي تجسّده تلك الروايتين، وكيف انعكس هذا الفضاء فيهما، ولاسيما أنّ الرّوايتين تسلّطان الضّوء على مراحل سياسية وتاريخية مهمة، لقد احتلت الأحداث السياسية التاريخيّةحيّزا واسعًا منها غطى فترة تصدي **الأمير عبد القادر** للاستعمار الفرنسي من **1832** إلى **1947**وفترة ما بعد الاستقلالفي الجزائر، تصوير واسيني الأعرج للوضع بعد الانقلاب على الرئيس الراحل **بن بلّة** وإبعاده عن السّلطة،بالإضافة إلى فترة التّسعينيات الدّاميّة .

يرى **واسيني الأعرج** أنّ كلّ عمل من أعماله ليس مرحلة تاريخية معينة إذ يقول: "رهان الرواية التاريخية يكمن في تعقب الفراغات التي أهملها التّاريخ الرّسمي والأيديولوجي ولاستناد على بعض العلامات المضيئة لتقول ما أغفله المؤرخون أو طمسته المؤسسات."[1]

فالشخصيات المدروسة لها دلالات على العصر، وتصريحه هذا سوف يكونمنطلقنا في رصد أثره هذا على الفضاء وانعكاسه في الرّوايتين ساعين إلى إظهار بعض الظّواهر والعلاقات القائمة في المجتمع بين الفن والواقع السّياسي والتّاريخي.

فعلاقة الرّواية بالتاريخ متداخلة جعل للرّواية ميزة مختلفة عن باقي الفنون، وذلك لأنها تعبّر عن الفرد والمجتمع، وماضي الشّعوب وتاريخهم "لقد خالفت الرّواية العربية عموما والجزائرية خصوصا والمعاصرة منها بوجه أخص ذلك المنحى الغربي في كتابة

---

[1] واسيني الأعرج، الرواية تحتفي بما يغفله التّاريخ، وأخبار ثقافة، الجزيرة نت، في: 2024/04/15، الساعة: 11: 23، عن: https: //www.aljazeera.net.

الرواية التاريخية، وحقّ لها أن ترسم مسارها في التّعبير الرّوائي عن تاريخيها الخاص، حيث نجد إنها خلقت لنفسها توجّهين في الكتابة الروائية إذ أصبح كلّ من علم التاريخ والرواية يتوزّعان على موضعين مختلفين سينطق الأول الماضي وسائل الثاني الحاضر وينتهيان معا غلى عبرة وحكاية.»[1]

فالرّواية تتخذ من أحداث التّاريخ خلفية لها وتعيد بناء واقعه وفقا لما يحتاجه العمل الروائي من فنّيات فهي «تنبنيحكائيا على التاريخ وتقتات عليه وتتشكل منه وتضيف عليه وتختزل منه، وتتصرف فيه، ولكنها ليست تاريخا.»[2]

نجد **واسيني الأعرج** قدوظّف الشّخصيات التّاريخية في أعماله الرّوائية؛ لتكون محوريّة في السرد القصصي الرّوائي وتتشكل العناصر التاريخية في بناء الرواية، حتى تطرح قضايا مرّتعلى التّاريخ لتحافظ على انتمائها أو تتخلّى عنه كمرجعيّات الهويّة والوطن والمنفى.

1 ـ المدّ التّغريبي أصبح خطرا على الهويّة الوطنيّة:

بين ولادته بالغرب الجزائري عام **1808** ووفاته بدمشق عام **1823**، عاش **الأمير عبدالقادر بن محي الدين** الفارس الشاعر القائد المصلح الذي لا يزال يثير قليلا من الجدل وكثيراً من الاحترام، كان يعدّ لحياة صالحة مثل أسلافه فعلّم وتعلّم وسافر وحجَّ، إلاّ أنّ الأقدار رسمت له أقدارًاأخرى فبُويع لقيادة المقاومة ضدّ الاحتلال الفرنسي وهو ابن الرّابعة والعشرين من عمره، فكان أكثر من مجاهد ومقاوم فقد بنى الدّولة

---

[1] ينظر : فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2004، ص05.

[2] نضال الشّمالي، الرواية والتاريخ، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2006، ص107.

الجزائرية وجعل لها عاصمة متنقلة اسمها **الزّمالة**، وحارب فرنسا خمسة عشر عامًا فالحق بهم هزائم وفرض عليها معاهدات وأذل جنرالاتها وقال عنها[1]:

خطرًا على الهوية الوطنية:

سَلُوا تُخْبِركم عـنّا فِرنـسَا*ويَصْدُقُ إنْ حكت مِنْهَا المَقَال**

فكم لي فيهمُ من يوم حرب*به افـتخر الـزّمان ولا يـزال**

وظلّت شخصية العالم حاضرة فيه، كان يحمل مكتبته معه في صناديق، وبعد عقد ونصف من المقاومة الشّرسة وجد فرنسا قد انتهجت سياسة حرق الأرض وإبادة البشر وقد خانه القريب وحاصره الشّقيق واضطرّ للاستسلام بشروط نكثتها فرنسا فأسرته مع عائلته في سجن أمبواز وسط فرنسا، فرض احترامه على آسريه رغم معاناته، وحين أطلق صراحه سافر إلى دمشق وسكن في بيت **الشيخ محي الدين العربي** وأوصى أن يدفن قربه.

قضى في سوريا ثلاثة عقود حافلة بالعلم والثقافة والدّين، وانتزاع إعجاب زعماء العالم حمى خمسة عشر ألف مسيحي ومنع المجازر ضدهم في فتنة **1860م** معتمدًا على خبرة سياسية وقيادة حكيمة حضارية ينتمي إليها، فتلقى الهدايا من الملكة فكتروريا، وسميت باسمه مدينة في أمريكا.

لقد أسال الأمير عبد القادر الكثيرً من الحبر حيًّا وميتًا وكتب عنه أخوه أحمد **بن محي الدين** كتابا وكذلك ابنه **محمد بن عبد القادر** والكاتب الانجليزي**شرشل**والمؤرخ الفرنسي **برينو إتيان** بعد حياة حافلة من أمجاد الحرب والأسر والنّفي توفي في دمشق

---

[1] ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تحقيق: د.محمود حقي، دار اليقظة العربية، دمشق، سوريا، د. ط، د. ت، ص16.

ونقل رفاته إلى الجزائر بعد ثمانين سنة من وفاته ليدفن فيها في الذّكرى الرّابعة من استقلال البلد الذي وهبه حياته.

غير أنّ أمير**واسيني الأعرج** في روايته"**كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد** " غير الأمير الجزائري رمز كفاح أمة وقدوة للشعوب العربية والإسلامية الحرّة ينزع وسلب هويته الوطنية وألبسه بأخرى سطحية لا تتناسب وتاريخه العظيم.

أراد **واسيني الأعرج** بلغته وبأسلوبه الفنّي المؤثر أن يزيل شخصية **الأمير عبد القادر** من مرجعيتها التّاريخية؛ فالأمير وهب حياته وعلمه ودوافعه في محاربة ومواجهة الاستعمار ببسالة وإقدام. وأسقط عنه طهارة ونقاوة رمزية الجهاد والنّضال في مواضع عديدة من المتن وأبدلها بمصطلحات تخرجها من عظمة مكانتها في حياة المسلم منها قوله: «كي لا أحمل دينا على ظهري تجاه شعبي ولا يشتمني من يأتي بعدي»[1] ومنه ما ورد أيضًا: «إنَّ ما طالب به يمثل ما يلزمكم به شرع النّبي، وما يجب تقديمه كمسلمين صالحين»[2] وأخرجها عن سياقها حين يريد إقناع جنوده بضرورة قتال العدو: «كان من واجبي أن أفي بما قطعته على نفسي أمامكم حتى لا يتهمني أيّ مسلم بأنّي تخلّيت عمّا وعدت به لنصرة القضية الكبرى»[3]عَوَّض كلمة "الجهاد" بمصطلح "القضية الكبرى"، وفي سياق آخر استعمل لفظة "المقاومة" بدلا عنها ليبعدها عن مرتبتها ومقامها «لا حلّ، إما

---

[1]واسيني الأعرج، كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص368.

[2]ا المصدر نفسه، ص127.

[3]ا المصدر نفسه، ص460.

قبول المهانة والموت وإمّا المقاومة، وقد لا ننتصر في حروبنا القادمة، ولكن على الأقل نكون قد أدّينا ما أمرنا به ربنا.»[1]

وحتى وإن وظف لفظة الجهاد يصححها بمعنى نفور الأمير ورفضها وهذا ما جاء به في قوله: «الكلّ يصرخ بالجهاد وأنا أعرف سلفا، عندما تتكلم المدافع والبارود سينسى الكثير منهم تعهّداته»[2]

القارئ المتمكّن يلحظ مدى قدرة**واسيني الأعرج:** ((في تغيير معنى الجهادوالتّخلص من دلالتها الدّينية، ولعلّه لا يريد أن يستفز المتلقي المضمر الغربي»[3] فقد سلب هويّة الأمير التاريخية وجرّده منها وسلخ الجهاد من حقيقة التّصدي للعدو وقتاله لإخراجه وتحويله إلى أبعاد أخرى تحمل دلالات التّذمر، الرّفض عدم الوفاء، الغدر، دلالات سلبية، تهرّب الكاتب عن معانيها الصحيحة حتى يحط من قداستها وعظمتها، وفصلها عن أبعادها الدينية «العرب مصمّمون على الجهاد، ولا يمكنني إلا أن أكون بجانب الذين بايعوني في هذا المنصب»[4]، وألحقها بأبعاد دنيويّة تنفي التّصدي للمستعمر «أليس غريبا أن ينطق بلغة مسلوبة الإرادة في أثناء حديثه همّ مصيري وهبه حياته وشبابه؟ فيحاول الجهاد إلى منصب دنيوي سالخًا أبعاده الدّينية»[5] تجاهل وأهم القيم والروحية التي تصل الإنسان بربّه وتقوي أواصره «لقد بدا الجهاد في رأي أمير **واسيني**

---

[1] واسيني الأعرج، رواية الأمير، ص179.

[2] ا المصدر نفسه، ص264.

[3]ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، نماذج عربية روائية، المجلس الوطني للثقافة والفنون، والآداب، الكويت، ط 1، 2013، ص221.

[4] واسيني الأعرج، رواية الأمير، ص265.

[5]ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص222.

الأعرج لا معنى له وهو يشترطلحصول معناه أن يبقى غريزة البقاء فكأن جهاد **الأمير عبد القادر** الجزائر خمسة عشر عامًا انتحار وإذعان بقسوة الحرب.»[1]

نفى الكاتب شخصية الأمير المناضلة وألغاها وحاصرها من جانب سلبي تحسّ أنه أمير خانع مستسلم مجبر على المبايعة، غير ملتزم بواجبه الدّيني المقدس نحو الجهاد ولم يعمل بقول الله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[2]

كما تجاهل لمعاني لفظة الجهاد والشّهادة كي يتجنّب الدلالة الدّينية، كأنه لا يعلم مدى تسابق المسلمين حتى ينالوا شرف الاستشهاد عند الله بقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[3]

فالكاتب وصف تلك الألفاظ وأعطاها معنى الموت العادي في وصف معاناة الأمير وجنده للهروب من المعاني الدّينيّة إذ يقول: «ماذا بقي سوى ستمائة من الخيّالة مصمّمة على الذّهاب معي إلى أقصى الدّرجات إلى الموت؟»[4] فهو لم يصرّح بلفظةالشّهادة «أنا مشيت في طريق من سلكه سار فيه حتى منتهاه.»[5]وهذا لأسباب ذات مرجعيّة دينيّة وسياسيّة.....

---

[1]ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص223.

[2]سورة التّوبة، الآية 43.

[3] سورة آل عمران، الآيتان 169-170.

[4]واسيني الأعرج، كتاب الأمير، ص422

[5] ا المصدر نفسه، ص310.

وتستمر سلسلة الإساءة المرجعية التّاريخية والدّينية والأخلاقية باتهامه الإقدام على سلوك غربي ألا وهو "الانتحار" هذا السلوك بعيد عن البيئة الإسلامية وهذا عندما تأزّمت أوضاعه بحصار جيشه من قبل الاحتلال وملك الغرب **عبد الرحمان:** «سارع إلى سلاحه يحشوه في لحظة يأس ويذهب وحده رافضًا أيّة مساعدة باتجاه بوجو في عمل انتحاري»[1]والانتحار هو قتل نفسه، من المؤكّد أنّ الأمير يدرك أنّ قتل النّفس حران ويجهل أن ما بعد العسر يسرين !؟ بمعنى أنه فاته قول الله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً﴾[2]

«إنّ من المعروف أن التّخييل يستمد عناصره من الواقع ومن قيم موروثة عن الأجداد، تشكل وجدان الشّخصية خصوصا أنها معروفة بالتزامها بمرجعياتها الدّينية والاجتماعية وعدم تمرّدها عليها»[3]

لقد تمادى كثيرًا **واسيني الأعرج** في التّعدي على الحكم السّياسي والنّضال التاريخي لمن أسّس الدّولة الجزائرية **الأمير عبد القادر** في جرأته هند استخدام مصطلحات غربية حديثة بدل الألفاظ المقدّسة في باب الجهاد في سبيل الله ويجعل معناها سطحيا خاليا من القداسة؛ متحجّجًا بالتّخييل الذي يختلف عن نقل الوقائع في التاريخ فـ«يتوجب علينا أن نحتكم إلى المذكّرات، التي تركها الأمير لتتأمّل لغته المنطوقة فعلاً، لا تخيّلاً وحين نعود إليها نلاحظ أن اللغة الدّينية تشكل ركنا أساسيا من مرجعيته الثقافية الوجدانية والتّربوية ومع أن هذه المذكرات كتبت في ديار الأعداء الذي بات أسيرًا

---

[1]واسيني الأعرج، كتاب الأمير ، ص402.

[2]سورة الإسراء، الآية 33.

[3]ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص223.

لديهم ومن الواجب أن يتحقق منها، لكنه يعبّر صراحة عن خصوصية في مواجهة العدو: «إنني أجاهد عن ديني وعن بلادي»[1]

سعى الأمير للدّفاع عن دينه وعن بلاده؛ لأن الواجب دعا إلى أن ينفر ويستجيب ضدّ العدو، ولم يتخاذل عن رفع راية الحقّ، ويقول في مقام آخر كتب إلى جيوشه في جبهات القتال.[2]

يا رب إنك في الجهاد أقمتهم*فبكل خير عنهم فـتفضـل**

يا رب يا رب البـرايا زدهـم*صبرًاونصرًادائمابتكمّل**

فالمعروف عن الإسلام أنه وضع شروطًا وقوانين للحرب تتماشى وسماحة التّعاليم الإسلامية، إلاّ أنّنا نجد الرّاوي يقدّم حادثة عين ماضي كفعل صادم في حقيقته الأمر توحي على الهمجية والقسوة التي مارسها الأمير ووحشيته في حق إتباع الشّيخ التّيجاني؛ فهي أعمال إجرامية منافية لقوانين الحرب شبيهة بجرائم فرنسا في سياسة الأرض المحروقة، صوّر الرّاوي كل ذلك في مشهد البؤس الذي تعرضت له مدينة عين الماضي وقلاعها التّاريخية جراء تدميرها وتهجير سكانها من طرف جيش الأمير: «فجأة سمع دويّ عنيف تطايرت إثره أسوار المدينة عاليا في الفضاءات الواسعة ولم يعد مقام التّيجانيّة إلاّ ركاما من الحجارة الأثريّة وقبل أن ترفع ألسنة اللّهب عاليا وتغطّي الأدخنة الكثيفة السّماء أعطى الأمير الأمر للفيالق الأولى فبدأت بحرق كل شيء، المساكن الفارغة والحدائق وحقول القمح والخيام والمطامير... لم يعد بالمدينة شيء حتى الكواسر التي بدأت تحوم

---

[1] ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص220.

[2] محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر عبد القادر والجزائر، المطبعة التّجاريّة، الإسكندريّة، مصر، د. ط، 1903م، ص289.

كعادتها على بقايا المدينة سرعان ما اندثرت تحت كثافة الأدخنة والنّيران التي منعتها من الاقتراب من المكان.»[1]

قصد السّارد الإساءة إلى البطل في عرض مشاركته غير الواعية في تدمير المدينة حتى يسوّي بين الشّخصية الدّموية للأمير ووحشية المستعمر الفرنسي؛ وبهذا شكل صورة عنه بعيدة عن الصور التي نقلتها كتب التّاريخ تؤكّد أن الأمير لم يمارس سياسة الأرض المحروقة: «رغم الحصار الطّويل فإنّ نهايته كانت مثالا على المعاملة الطّيبة في حالة الحرب ودرسا في الاحترام بين الطّرفين، فلم يكن هناك انتقام ولا تمثيل أو قتل أو حرق لا ضرورة له، كما فعل الفرنسيون مع القرى والأشخاص المقاومين، فقد عامل الأمير التّيجاني وعائلته معاملة تليق به وأعطاه الوقت الكافي ليجمع شؤونه»[2] وهذا ما يتماشى مع مرجعيته الإسلامية وهو الفقيه والعالم بآداب القتال وما حرّم قتله في الحرب لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[3] وأوصى **أبو بكر** –رضي الله عنه– **معاوية بن أبي سفيان** –رضي الله عنهما– لما أرسله إلى الشّام بألاّ يقتل امرأة ولا صبيّا ولا هرما ولا يقطع شجرًا مثمرًا ولا يخربنّ عامرًا[4]

فهذه النّصوص تسيء إلى الشّخصية ذاتها حتّى وإن كانت متخيلة لا واقعية، فبقراءة هذا المتخيل حتّى ينفر من شخصية الأمير ويكذّب تاريخيه العظيم. وهذا ما أراده

---

[1] واسيني الأعرج، كتاب الأمير، ص 278، 279.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4 (1830–1945)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص202.

[3] سورة البقرة، الآية 190.

[4] ابن أبي شيبة، المصنف –كتاب الجهاد– من ينهي عن قتله في دار الحرب، ج7، إسلام ويب، في: 20.04.2024الساعة 15.15. عن https: //www.islamwep/net

واسيني الأعرج«وهكذا بدا لنا حضور الآخر (الغربي) في صورة متلقٍ مضمر، يهيمن على وعي المؤلف وذاكرته ولغته، بما يمثله هذا المتلقي من مرجعية فكرية وروحية وجمالية، حتى إنه شوّه ملامح شخصية الأمير وأبعدها عن سياقها التاريخي والثقافي أي عن خصوصيتها وهويتها ولغتها وإرضاء لهذا الأخر المضمر الذي فيما يبدو كان يحتل لا وعي الكاتب مثلما احتل أرضه ومرجعيته الثّقافية.»[1]

نفّذ الاستعمار الفرنسي، إبان الاحتلال عامّة والثّورة التّحريرية خاصّة مخطّطاً إجراميّا لإبادة الشّعب الجزائري فارتكب العديد من المجاز تتعارض مع القوانين الدّولية ويأتي الكاتب محاولا تبرئته من صوره الوحشية التي مارسها وتقديمه في صورة حضارية إنسانية على لسان الضّابط بيجو: «إنسانيتي تجاه العرب وتجاه جنودي تحتّم عليّ أن أقترح عليكم السّلم قبل الحرب، والسياسةتجبرني على فعل ذلك مثلها مثل الإنسانية»[2] رسم له صورة رجل سلم لا حرب ويبرر له همجيته وتدميره في مقام آخر «كانت تسيطر عليه عقلية المزارع أكثر من عقلية العسكري، كان يريد ما يشتهي وهذا ليس بمعاهدة طرفان وأخذ وعطاء هذه هي السياسة، كان يريد أن يحسم كل شيء قبل بدء الحرب كان يحرق الحقول لا حبًّا في حرقها وهو المحب للأرض والزّراعة ولكن لحسم المعركة بسرعة»[3]صار الحرق والتّدمير له تعليل وعذر وذلك «من أجل تحقيق نصر سريع وتخفيف خسائر جيشه يسعى إلى تكبيد الجزائريين أقسى الخسائر، فيحرق أرضهم؛ ليحرق أملهم في الحياة عليها، باحراز حسم سريع في محوها.»[4]

---

[1]ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص227.

[2]واسيني الأعرج، كتاب الأمير، ص208.

[3]ا المصدر نفسه، ص207.

[4]ينظر، ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص228-229.

إن المتأمّل في أعمال **واسيني الأعرج**يلحظ أنّها في معظمها تسلّط الضوء على تاريخ ما بعد الاستقلال في الجزائر كرواية "**أصابع لوليتا**"، استحضر فيها انقلاب عام **1965م** ضدّ الرئيس **أحمد بن بلّة**، وفترة العشرية السّوداء وعلاقة المثقّف بالسّلطة التي تتعلّق بهذا التّاريخ.

فشخصيّة يونس مارينا المتمرّد على سياسة الانقلاب الذي قام بها العقيد **هواري بومدين** والذي يطمح إلى الحرية والعدل مع الرئيس **أحمد بن بلة** سينتهي، وسوف يحدث له كما حدث مع المثقّف في وجه السلطة، يسجن ويطارد ويلاحق سياسيا على أنها خيانة وطنية، فهذا الحدث كان نقطة انعطاف في حياة مارينا، ليعبر عن غربته ومنفاه في كثير من مواطن النّص منها "في البيت لها (لوحة الذبابة) رائحة جدّتي وجرح المنفى القاسي هي من منحني بعض الألفة وجعلتني أخرج من خراب الخوف والعزلة القاسية»[1] في هذه النقطة يحدث التّغريب بتأليف قصص عن تعذيب الرئيس **أحمد بن بلة** في سنوات العزلة حتى عنون كتابًا بـ "ذئاب العقيد" وهم الذين كانوا يشرفون على تعذيب الرئيس؛ لكن في لقا على قناة الجزيرة في حصة شاهد على العصر، أنكر السيد الرئيس تعذيبه، وهو بطبيعته العسكرية الثورية يعرف حقيقة النّظام العسكري وما يتماشى معه في ظلّ هذه الظروف السّياسية، وقد صرّح في فترة سجنه واعتقاله كان يقرأ القرآن والكتب، وتتفقد أحواله من حين إلى آخر حتى أنّ والدته كانت تزوره، وتزوّج خلال هذه الفترة من زوجته السيّدة **الزهرة سلامي**[2] وبمقارنته مع ما ورد في النّص الرّوائي نجده مختلف إلى حدّ يجعلنا نتساءل ماذا يقصد **واسيني الأعرج** استرجاع حدث الانقلاب بالذات؟

---

[1] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، دار الثقافة ، دبي ، الإمارات العربية المتحدة ط 1 ، 2012 ، ص270.

[2] أحمد منصور، حصّة شاهد على العصر ـ الانقلاب على أحمد بن بلّة (13) ـ قناة الجزيرة، تاريخ الحلقة: 29.12. 2002.

رسم **واسيني الأعرج** صورة لكاتب ثائر على كلِّ شيء: ثائر على التّاريخ... على الظلم... كاتب على الطريقة الأوروبية في عصر النّهضة.

فمن الحيرة في متخيلة الرّوائي يشبّه والدة الرّئيس وهو في عزلته بالذّبابة، تخيله وحيدًا في زنزانته تؤنسه ذبابة لكن ليس إلى حدّ هذا التّشبيه: «يناديها هو بنفسه لتقاسمه فراشه عندما يشعر بالوحشة الكبيرة: لالاّ مينة (الذّبابة) الفراش واسع، خذي لك أي مكان تريدين النّوم فيه»[1]

أوصل الرّايس بابانا إلى حدّ من الجنون، لكن الرئيس **أحمد بن بلة** له تجربة وخبرة مع سجون العدوّ الاستعماري عندما ألقي عليه مع رفاقه في الطائرة.

تساهل **واسيني الأعرج** مع التّاريخ النّضالي للمنظّمة السّرية "OS" أثناء سرد الشّرطية **ريبكا** لإصابة والدها في الجزائر: «كان يقول لي (والدها) دائما ما ذنبي إن ولدت وكبرت في تلك البلاد!التّطرفات القاسية أفقدتنا فرصة البقاء مع بعض وفتح صفحات حياتنا من جديد، المنظمة السرية أسكنت رصاصة في رجله... لأنه خرج مع والده رافضا التقتيل الذي تبنّته المنظمة السرية.»[2]

فلم يكن عمل المنظّمة السّرية تقتيلا بل كان ترهيبا للاستعمار وحقيقة نجحت في ذلك بقيادة: **محمد بلوزداد**تأسّست في: **15 فيفري 1947**؛ قامت ببعض العمليات

---

[1] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، ص93.

[2] المصدر نفسه، ص352.

الناجحة كتفجير البنوك[1]، نجد هنا **يونس مارينا** يستمع للشرطيّة الفرنسيّة كأنّ والدها وقع ضحية للرّصاصة ولم يأخذ موقفا ضدّ ذلك.

تمرّ السنون من حياة الكاتب **يونس ماريا** بعد مطاردته من سلك المخابرات الجزائرية إلى مطاردةأخرى مجموعة آسيا الإرهابية في الّتسعينيات –يبدو أنه يحبّ حياة المطاردة ويجعل من نفسه دائما ضحيّة للآخرين– اعتبرت أنّ رواياته وآخرها "عرش الشيطان" فيها مساس وتطاول على الدّين الإسلامي فأحيط بحماية أمنية هائلة من الشّرطة الفرنسية؛ فهذه الرّواية بنيت على مدار ثلاث سنوات من العزلة والتّمحيص من التّراث الإسلامي وأبحاث من سبقوه من المستشرقين: «كان مستسلما للعزلة وللذّة الحروف المحروقة التي كانت تأتيه من مكان غامض وبعيد في كيانه تخترقه الأناشيد المبهمة والصّرخات المكتومة التي كثيرا ما تقذف به نحو أزمنة هلامية بعيدة، لقد اشتغل بلا توقف مثل الذي فتح ورشة خاصة، لا عمل له فيها إلاّ تعذيب الأبجدية مثلما يفعل الأركيولوجيونوالفيلوجيّون بحثا عن سرّ مستعصٍ في عمق حر، مفردة، أو جملة. التقى في رحلته المبهمة بالسّيوطي، والطبري ونولديكة وغرق في مخطوطات صنعاء التي كادت تأكل في رأس الدكتور **جدهاردبوويين**، قبل أن يعيد تركيب كل شيء ويكتشف ما هزّ يقينه بعنف، متذكرًا كلمات ابن مسعود المبهمة معلقًا على قرآن عثمان: لم أجد في هذا القرآن أشياء قالها الرسول»[2]

نجده اعتمد في كتابتها على المناهج الغربية الحديثة حتّى يتمحّص في كتاب سماوي مقدّس ختم به الله الرّسالات السّماوية، بنقد إجماع الأمة على الجمع الذي جمعهم

---

[1] ينظر: سعدواي مصطفى، المنظمة الخاصة ودورها في الإعداد لثورة نوفمبر (1947–1954)،رسالة ماجيستير، في التاريخ الحديث والمعاصر، كليه العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005–2006، ص264.

[2]واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، ص17–18.

سيّدنا عثمان –ﷺ–وهو "جمع القرآن على حرف واحد؛ لأنّه وقع صراع بين المسلمين في تخطيء بعضهم في القراءات نتيجة دخول الأعاجم في الإسلام فاستشار جميع الصحابة وأجمعوا على رأي واحد بحرق جميع النّسخ ويجمع على مصحف أمّنا حفصة –رضي الله عنها– ووزّعها على الأمصار الإسلامية بتكليف سيدنا زيد بن ثابت –ﷺ– كما قام به قبله سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر –رضي الله عنهما– لأنه كان كاتبًا للوحي وليس حافظا فقط ومعهالتّكرارالذي عرضه الرّسول –ﷺ– آخر مرة على سيدنا جبريل –عليه السلام– وقد عرضت شبهة لعبد الله بن مسعود –ﷺ– بامتناعه لحرق نسخته وهو من قرّاء الوحي؛ لكن سيدنا عثمان كان حليما معه لأنه من بني هذيل والقراءة أجمعت على قراءة قريش حتى لا يعم الاختلاف؛ وفي الأخير أقرّ سيّدنا عبد الله بهذا الجمع وخضع لأمر أمير المؤمنين"[1] لكن المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ وهو من بدأ معه التّغريب استغلوا هذا الموقف لتفرقة المسلمين، ومن بعده المرتدين والمعرضين بعرض هذه الشّبهة والزّيادة عليها كما يفعل الآن **واسيني الأعرج** ومن هو حتى ينتقد عمل الخلفاء الرّاشدين ويحكم على اختلاف وجهات نظرهم؟ فهذا تجرّؤٌ على التّاريخ الإسلامي وعلى ما ورد في السّيرة النبوية الشريفة، وهدفه تشويه لخلافة **سيدنا عثمان** –ﷺ– وضرب في صحة قراءة القرآن الكريم وهنا يبرز التّغريب عند**واسيني الأعرج** لأنّهيجعل من شبهة سيدنا **عبد الله بن مسعود** –ﷺ– تمردًا على إمارة **سيدنا عثمان** –ﷺ– بهذا الغمز على الصّحابة فهو يدين **سيدنا عثمان** –ﷺ–؟ والمفارقة لاقت هذه الرواية نجاحا ساحقا بالطّابورات لاقتنائها، وهو نفسه اندهش لذلك: "لم ير عرش الشّيطان أي استثناء ولا أيّ جهد خارق يضعه في أفق الدّهشة، مجرد لحظة هاربة لاختراق سرّية القرآن اللذيذة."[2]

---

[1] ينظر: عمار الخطيب، قراءة تقويمية للقول برجوع ابن مسعود عن موقفه من الجمع العثماني وموافقته الجماعة، مركز تفسير الدراسات القرآنية، في: 2024/04/26، الساعة 22: 19، ، عنhttps: //tafsir.net

[2] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، ص17.

ومن هنا اتّهم**يونس مارينا** بتهمة إفساد الأخلاق مما أثار غضب هذه المجموعة الإرهابية التي تتقاطع مع تنظيم قاعدة في المغرب الإسلامي؛ فأرسلت له شابة جميلة ناجحة في عملها في الموضة تعيش أزمات داخلية مربكة تمكّنوا من استغلالها وتوجيهها لقتله؛ وإفهامها بأن موتها سيعطيهما فرصة ليكونا معًا بعد الموت في حياة أخرى.

2 فرض سياسة المنفى كهوّية

تشكّل سياسة المنفى كوسيلة اتّخذها التّاريخ البشري بشكل عام ولاسيما تاريخ الاستعمار الفرنسي الذي انتهج هذه السياسة مدّة احتلاله من **1830** إلى **1962** كوسيلة قمع لكلّ من يثور ضده فـ«النّفي هو الإبعاد من المكان الذي هو وطنه للمنفى فالنّفي يكون للخصوم في محاولة بعثرة جهود وتشتيت محاولاتهم الرّامية في الأغلب لنقض الحكم والنظام.»[1]

فالفراقعن الوطن هو القاتل الصّامت والجرح الذي لا يبرأ في الغربة فاجعة ولاسيما تكون قسرًا تحرق أرواحًا متعلقة بأوطانها تتشطر فيه الأنفس عبر مسارات جديدة تتشكل في المنفى، فمنها من تجارب للحفاظ على ثقافتها وهويّتها حتى لو جرّبت الثّقافات الجديدة، ومنها من يتحجج بالأزمات النفسية وقسوة حياة المنفى والتّرحال، فينجرُّ مع الظروفوتتشظّى هويّته يصبح تائها، والنّفي قد يكون هروبًا سياسيًا أو استعماريًا يفرض ويصبح حقيقة صعبه على المُهجّر سواء كان فردًا أو جماعة.

عندما يذّكر بشاعة حياه المنفى ومرارتها، فلابد أنْ يتذكر التّاريخ خداع الاستعمار الفرنسي للأمير **عبد القادر** ونكث العهود معه في نفيه إلى الشّرق فهجّر قسرًاومن معه

---

[1] سامي الصّلاحات، معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، مكتبة الشروق الدّولية، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص232-233.

من عائلته وحاشيته إلى الأسر لسنين عديدة «من بداية **1848** إلى جوان **1953**»[1] بوصوله إلى المعتقل تحوّل من أمير ضيف إلى أمير أسير فسيق الأمير ورفاقه «إلى سجن قلعتي لامالاق (LAMALAGUE) وظلّ متنقلا بين السّجون الفرنسية فمن طولون إلى بو(PAU) إلى (BAURDAU) ومنها إلى نانت(NANTE)ليستقر به المقام إلى المعتقل –قصر– أمبواز (AMBOISE)[2] والحكومة الفرنسية لم تيأس تراوده وتغريه بالوعود والمناصب ليتنازل عن الذهاب إلى المشرق، وقبوله بالتّعايش والانفتاح على الآخر والاندماج في الثّقافة الغربيّة فتوالتالضّغوطات والمحاولات من كبار قاده الحكومة الفرنسية في تبنيه وتطويعه ليكون فرنسيًّا؛ فعرضها عليه الجنرال **بيجو** الوطنية الفرنسية: «فالأفضل هو أن تتّخذ قرارا متماشيا مع الوضعية التي اختارها الله لك، وأتمنى أن تصل إلى قرار تبني فرنسا كوطن لك وتطلب من الحكومة التي تمنحك أنت وعائلتك قطعه أرض غنية وستكون لك حياة مساوية لحياة أي مواطن فرنسي محترم. أعرف أن مقترحًا مثل هذا لا يغريك كثيرًا، ولكن فكّر أكثر في مستقبل أبنائك وحاشيتك أنت ترى أنهم يموتونيوميا مكلاً وكمدًا.»[3]

فهذه المؤامرات المرصّعة بالإغراءات المادّية المصحوبة بالضّغط النّفسي والعاطفي على الأمير باستغلال الوضع المزري الذي تعيشه عائلته ورفاقه لإخضاعه وتشتيته وتذويبه في المجتمع الفرنسي تدفعه إلى التّنازل عن حقوقه التاريخية ومقومات هويّته منها ما ورد على لسان الكولينيل**دوما** في سجن أبواز حيث كان الأمير وحاشيته

---

[1]شارل تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1974، ص263.

[2]عبد الرّزاق بن سبع، الأمير الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للإبداع والشعر، السعودية، د. بد.ط، 2000، ص51.

[3] واسيني الأعرج، كتاب الأمير، ص537.

في الأسر: «لم تغيرك فرنسا كثيرا وهي التي كانت تحلم بأن تجعل منك مواطنا من ذويها –المجلس يتردّد في قبول التّعهد الذي قدمه لك **لامورسيير**... أن تتبنى هذه البلد ويلحق بك أهلك وأقربائك بالجزائر مقابل التّخلي عن التّعهد علانية...

–الأمير: من ناحية إلحاق الأهلي فقد ألحقوهم لقد جاءوا بإخوتي وأبنائي وسجناء سانت –مارغريت إلى هذا المكان الرّطب الذي منذ أن يدخله الإنسان يبدأ في الموت البطيء أنت تعرف جيدا أنّني لا أقبل هذه المقترحات فليفعلوا ما بدا لهمهم سادة الشأن والقرار ولا يمكن أن أتخلّى عن المطالبة بالوفاء بالعهد ما دمت حيًّا، ومن عجب ما يسمع أنّي كنت أرى نفسي ضيفكم فجعلتموني أسيركم وأخذتم تعدّدون عليّ أمورًا قمت بها دفاعًا عن أهلي وأرضي وديني.

أعرف كل هذا ربّما يتم التفكير لقيادتك إلى باريس لاكتشاف حضارتنا وقوتنا مثل ما فعل **إبراهيم باشا** خديوي مصر التّغيير قليلاً من هذا اليأس وهذه الرّطوبة.

لا... **إبراهيم باشا** رأى باريس ولا غيرها من أمصار فرنسا متنزهًا له يمرح فيه كيف شاء أما أنا فلا أرى فرنسا إلا سجنا لي ولمن معي فلا فرق إذًا عندي بين هذا القصر وباريس.»[1]

فهذا المشهد يبيّن حقيقة الاستعمار في عدم التزامه بالعهود والمواثيق بتحويل الأمير –ومن معه– من ضيف إلى أسير حرب عانى «من سبب الإهمال وغبن المنفى والفقدان»[2] فعبّر الكولونيل **دوما** عن استغرابه هنا. كيف حافظ على هويّته على رغم سعي الذّات الاستعمارية في شرائه مقابل مكتسبات مادية وامتيازات مدنية وعلى الرغم أيضا مدّة أسره الطويلة كما استغرب إصراره على الرّحيل إلى بلد إسلامي فلم يهنأ له

---

[1] واسيني الأعرج، كتاب الأمير، ص527–528.

[2] المصدر نفسه، ص508.

العيش في بلد جميل كفرنسا ويرضخ للحضارة الجديدة كما سلبت وأبهرت لويس نابليون وإخباره بحريته: «جئت لأخبرك بحريتك ستقاد إلى بروسة في دوله السّلطان وعندما ننتهي من الترتيباتالضرورية ستتلقّى من الحكومة الفرنسية معاملة كريمة تليق بمقامك العالي. منذ مدة ووضعكم يؤرقني؛لأنه يذكرني بالتزامات تم اتخاذها ولم تنفذ ولا شيء أذلّ من حكومة دولة لا تفي بوعودها... لقد كنت خصمًا عنيدًا لفرنسا، ولكن هذا لا يمنعني من الاعتراف بشجاعتك وقوّتك وتواضعك في مأساتك، ولهذا فأنا سألتزم بشرف إنهاء حبسك وثقتي كاملة في كلمتك...

فيقول الأمير إنّني أعدك يا سيدي أن لا ألمس هذا البلد بسوء على كل حال فأنا توقفت منذ زمن بعيد عن كل شيء ويمكنني أن التزم كتابيا.»[1]

هو **لويس ليون** قام بإجراءات التّرحال إلى بلاد المشرق المتأخرة التي تسبّب فيها الملك الأسبق له، وكان مستهدفًا. فيبدو من خلال لغته التي تؤكد أن فرنسا دولة قوية تفي بوعودها وحريصة على تطبيق اتفاقياتها مهما كانت الظّروف والملابسات، في حين شكّل السّارد لغة الأمير لغة ضعف واستسلام وهذا لا يليق بمقام الأمير الذي تشبّث في منفاه بهويّته وإصراره على عدم الاعتراف بسلطة الاستعمار على أرضه التي هجرها قهرًا وقسرًا. واعتبر فرنسا كلّها سجنا له.

نجد في هذه المحاولات المتكرّرة من السّلطات الفرنسية دعوة صريحة إلى الأمير حتى يتخلّى عن هويته ويستقر في فرنسا ويصبح أحد مواطنيها حين باءت المغريات المادية بالفشل، ولم تجد صدى في نفسه فكانت إثارة عاطفته وحسّه الإنساني تجاه عائلته وحاشيته الذين يعانون معه حياه القهر في الأسر، لكن كان رده واضح: «والله لو جمعت

[1] واسيني الأعرج، كتاب الأمير ، ص567.

كلّ كنوز الدنيا في برنسي وطلب مني أن أضعها مقابل حريتي لاخترت حريتي، لا أطلب شفقه ولا منّة أطلب فقط تطبيق الالتزامات التي اتخذت تّجاهي.»[1]

فتمسك الأمير بجذوره ولم ينسلخ عن هويته، ولم تغيّره قسوة المنفى ويرضخ، بل أصرّ على التزام فرنسا بما وعدت، ويمكن مقارنة موقفه بموقف الرّسول ـ صلّى الله عليه وسلم ـ عندما عرضت عليه قريش الجاه والسّلطان.

فكلّ هذه المواقف والأحداث التي مرّت على الأمير منذ ترحيله من أرضه قسرًا إلى سنوات أسره التي تدلّ على إصرار الرّوائي على إظهاره بصورة لا تتناسب مع تاريخه المجيد صورة مغيّبة مستسلمة لا تعبر عن مسارات الرجل واختياراته، وهذا يبدو جليّا في ردّه حينما زاره في سجنه، وما يلاحظ على الرّاوي أنه أسقط في مقامات كثيرة من شخصية الأمير، وتركه يلوم نفسه ويندم على تقديم واجبه واتهام ذاته بالتّقصير مثل: ما بدر عند زيارة الأمير لمزرعة الخيول رفقة **لويس نابليون** وهذا للاحتفال به في مراسم توديعه قبل مغادرة فرنسا لإعلاء من شأن فرنسا، قال **لويس نابليون** بعد لحظات من الصّمت، كان فيها الأمير غارقًا في الطّبيعة الممتدة على مرمى العين: «أملي أن يكون مقامك طيّبًا، أملك سيفًا عربيا قديما، سنّة خلفاء الشّرق القدماء، أرجو أن تقبله مني كهديّة... سأكون سعيدا بإهدائك هذا السّيف وأنا أعرف سلفًا أنّك لن تستلّه في وجه فرنسا.

الأمير: لم أعد اليوم ممن يلتجئون إلى الأسلحة، سأدعو في صلواتي لسموّكم ولبلادكم العظيمة خيرًا وهداية، أمّا ما يحدث هنالك في تلك الأرض الطّيبة، الله وحده يعرف سرّ عواقب الأشياء أتمنى فقط خيّرًا للكلّ.»[2]

---

[1] واسيني الأعرج، كتاب الأمير، ص537.

[2] المصدر نفسه، ص585.

في لغة **نابليون** استعلاء، ولحظة انتصار برفع شأن الذّات الاستعمار مقابل شخصية الأمير المهدّدة بعدم رفع السّيف وهو بكلّ إهانة يعد بذلك، وما زاد ذلّ ذات الأمير بالدعاء لجلاّده وقاهر بلاده، وهذه ليست حقيقة الأمير التّاريخية.

وعندما طلب من الأمير أن يقول كلمةفي الحفل الذي أقيم على شرفه بحضور **لويس نابليون:** "صاحب المقام العالي، لست متعودًا على تقاليدكم ربما كنت بصدد ارتكاب حماقة بهذا الشأن، فأنا أعتذر سلفًا، ولكنّي أريد أن أعبّر لكم وللشخصيات الكبيرة التي تحيط بكم عن شعوري الكبير بالامتنان والعرافان."[1]

من هذه الكلمة التي توحي بأنّ هذا المتكلّم لم يقد أمّة يوما ما ولم يحمل سيفا فهي تخاف من ارتكاب الحماقات عند لقاء النّد، هنا نجد الرّوائي صغّر من مقام شخصيّة الأمير صوّرها بأنها شخصية مهتزّة مرتبكة، لا تملك الثّقة بالنّفس، بينما صورة ملك فرنسا **نابليون**الشّخصية المنقذة الموفية بالوعود والعهود، الحافظ للمقامات.

وهذا راجع لتأثير الكاتب بالتفكير الغربي، أخرج شخصية الأمير السّياسية والتّاريخية من فضائها إلى فضاء خال فارغ من أيّ خبرة، وهو يكتب عن شخصية ملأت فضاءات عديدة خلالها نضالها مدة خمسة عشر عامًا وفترة أسر خمس سنوات؛ فقد فيها الكثير عاش ممزقًا بين فرقة الوطن والمنفى ليجد نفسه مهمشًا مهملاً دون التزام بما سبق عهده، توفي حوالي عشرون من ذويه وحاشيته، حتى صارت مقبرة في معتقل أمبواز، سيّج عليها بالأسلاك.

وأصيبت ابنته باضطراب عقلي وعاطفي حين وصف الأمير الوضع المزري الذي يعايشونه لـ: دوما: "الأسر يزداد كل يوم سوءا ابنتي زهرة بدأت تصاب بالخبل بسبب الخوف والرّعب الذي لحق بها في معتقل سانت–مارغريت"[2]

---

[1] واسيني الأعرج، كتاب الأمير ، ص578.

[2] ا المصدر نفسه،ص529.

من المؤسف على ما أظهره الكاتب في نصه الرّوائي مواقف أصابت الشّخصية التّاريخية بنوع من الهشاشة، مستغلاً في ذلك صورة الأمير النّبيلة الأصلية التي حفظها التّاريخ إرضاءً للآخر.

وفي نوع آخر للتّهجير القسري يكون باختيار أرض المنفى كما حدث مع الكاتب **يونس مارينا** السّياسي المتمرّد على السّياسة فضاق عليه العيش في الوطن في هذه الأوضاع فاضطر إلى الهروب إلى فرنسا هذه نتيجة دخوله حسب تعبيره في لعبة لم يدرك نتيجتها، كان اندفاعًا غير مدروس بعد انقلاب **1965**، ضدّ الرئيس **أحمد بن بلة:** «كذبة صنعت مني كاتبا صدفة قاسية واستثنائية، رمت بي نحو المنافي سرقت مني حياة، ومنحتني أخرى، وصدفة أسوأ تضعني الآن على رأس المهددين بالموت»[1]

تعاطف مع الرّئيس **أحمد بن بلة** لأنه كان صديق والده في الثورة الذي وعده في زيارة إليهم بأن يرشده إلى قبر والده الشّهيد ويزوراه معا، فينشر له صديقه **موسى بلحمر** كتاباته ضد العقيد "**الرئيس هواري بومدين**"باسمه المستعار **يونس مارينا** واسمه الحقيقي **سلطان حميد** تضامنا مع صديق والده، فتحدّث عن تعذيب ذئاب العقيد **للرّايس بابانا** "**أحمد بن بلة**" كما يجب أن يسمّيه: «سنفعل كل ما يأمر بهالعقيد، لأننا كلابه وذئابه أيضًا... علينا أن نثبت أنّنا كلاب وذئاب حقيقة»[2] فاتّهم **مارينا** بالخيانة فأصبح مطاردًا ومطلوبًا، وهذا باقتحام السّيكريتيّة بيته: «أحرق كلَّ شيء وهو يرمي الرماد... رآهم ينزلون من سيارة مدنية، السّيكريتيّة لهم رائحة عرفهم، سلّم على رأس أمه... عانقته وهي تضع الكوفية الحمراء في عنقه»[3] بموقفه الاندفاعي العشوائي بدأ رحلة عذاب المنفى ووجع

---

[1] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، دار الثّقافة، دبي، الإمارات العربيّة المتّحدة، ط1، 2012، ص129.

[2] المصدر نفسه، ص101.

[3] المصدر نفسه، ص111.

الفراق للأحباب والأصحاب حتى «دفع ثمن المنفى المزدوج منفى البلاد والعباد»[1] حتى النّدم لم يبق معنى له، حياة هروب مليئة بالخوف «أيّة جريمة ارتكبتها، قبل أربعين سنة، عندما كتب مقالاً لم تكن تعرف مخاطرة بعد انقلاب **1965**؟ كنت شابا، وتظن أنّ الكلام والحقيقة صديقان، فوجدت نفسك في باخرة مليئة بالسّلع والفئران، تقطع موانئ المتوسط ومساحات لا تنتهي من الخوف، هل كنت تعلم أنّ الكتابة ستوصلك إلى هذه الحالة لو كنت تعلم لما أقدمت على هذا الجنون»[2] لحظة ضياع قرّرت مصيره ومصير من معه، حتى المنفى لم يحقق له إحساس الحرّية رافقه إحساس عميق بالغربية؛ فالهروب «من الاضطهاد والأوضاع الصّعبة التي لا يتمكّن من التّغلب عليها من بلد آخر يؤمن له الحرّية والعمل والظروف والمجالات التي يفتقدها في بلاده.»[3]

حمل دائما معه ذاكرة مثقلة بالألم لم يجد من يخفف عنه فعرف «أن الوطن الأم هو وطن المقابر والنّاس الذين نتذكرهم ويتذكرونا»[4] عاش مع ولع الشّوق والحنين للوطن فكان يقصد المطار حيت يشم رائحته مع الوافدين منه، وما زاد قلب موازين حياته الضّياع والتّشتت والآلام عند وفاة العقيد في «**29 ديسمبر 1978** وخروج **الرّايس باباتا** من السّجن سامحه ووجد له الأعذار في تصريح لمجلة لبنانية.»[5]

هجرة وغربة ومطاردة وفقدان من أجل اللّحاق بالوهم والسّراب لسنين ضاعت من أجل لا شيء، وما زاد الطين بلّة لم يتسامح **يونس مارينا** مع الزّمن حتى ينقذ ما تبقى من سنوات

---

[1] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا ، ص37.

[2] ا المصدر نفسه، ص ن.

[3] حليم بركات، غربة الكاتب العربي، دار الساقي، بيروت، لبنان، د .ط، 2011، ص273.

[4] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، ص416.

[5] ا المصدر نفسه، ص122.

الضّياع رغم محاولات صديقه **بلحمر** لإرجاعه وإنهاء هذا الاختلاف مع نفسه: «أنا عفوت عنه لأنني في حاجة إلى تهوية الذاكرة حتى أموت مرتاحًا. الذاكرة المثقلة متعبة.»[1]

أراد أن يخرجه من الحقد إلى راحة البال التي فقدها من لحظة وداعه لأمّه وهروبه، فأجابه **يونس:** «قلبك طيّب، أنا لم أستطع لقد سرق منّي وطني وماما جوهر وعمّي مريزق... وحياتي وحياتك.»[2]

طلب منه الرّجوع: «لماذا لا تعود إلى أرضك، لقد أصبحت كاتبًا كبيرًا ولا أحد يتجرأ على أن يمسّك، والمنفى قاتل يا عزيزي[3] فأجابه: «يا لحمر يا خويا يبدو أن سنوات الفرقة وسّعت الهوة بيننا»[4] أراد صديقه أن يخرجه من شطط الدنيا ويتصالح مع ذاته ويجدّد حياته بالعودة إلى وطنه المسروقمنه وينقذ ما تبقى منه، فأصعب شيء يواجه الإنسان شيئًا مبهمًا وغير مرتقب، حتى لو سأل الكلّ: «لماذا كل هذا؟»[5] لن يجد إجابة فمحيطه كلّه كان منشغل بما عنده، راحت أمّه ضحية لحظة جنون وعبث وهدر عمره، لم ينقذ ما تبقى منه غارقًا في ظلام حقده ولم يعره أحد اهتمامه ولا **الرّايس بابانا** ذاته عند تحريره لم يسأل عنه، فنحن لا نستطيع أن ننفي عنه معاناته في اغترابه وحنينه إلى الماضي بالمحافظة على كلّ ما يذكره به كترقيعه للكوفية الحمراء التي تحمل رائحة الزّيتون والزّعتر وارتدائه لها حتّى لا تغيب عنه صورة أمه حين تركها للمرة الأخيرة وهي تضع الكوفية الحمراء في عنقه: «أعرف أنّك لا تحبّ الكوفيات ولكنّها صنعة يديّ، كبيرة

---

[1] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا ، ص 120

[2] المصدر نفسه، ص121.

[3] المصدر نفسه ، ص123-124.

[4] المصدر نفسه، ص124.

[5] المصدر نفسه، ص 125

وستقيك من برد هذا الشّتاء القاسي ربي يحفظك ياوليدي حميمد من كلّ أذى... ربي يحفظك.»[1] رمى نفسه على المهالك بالوقوف في وجه السّلطة ورفضه العودة إلى الوطن مع صديقه **بلحمر**، بهذا سيبقى مع كل شيء يذكره بأنه منفيّ: «لا تقتصر الصّعوبة التي يواجهها المنفي على كونه قد أرغم خارج وطنه، بل إنها تعني –نظرًا لما أصبح العالم عليه الآن– أن يعيش مع كلّ مايذكرّه أنّه منفي.»[2]

ظلم نفسه وعزلها في لوحة الذّبابة داخل غرفته مع كتاباته المتأثرة بالحياة الغربية مثل: "عرش الشيطان" يوجد العديد من الكتاب والمثقفين المنفيّين، لكنهم لم يضيعوا ضياع **يونس مارينا** بل قرنوا حياة المنفى بالإبداع بنقل تجاربهم واجتماعهم على صدقات حميمة بالمهجر مثل: **حليم بركات، إدوارد سعيد، عبد الرحمن منيف** وغيرهم كثر، **فيونس مارينا** خسر بعناده حياته كإنسان وكمثقف؛ بم أفاد نفسه؟ وبما أفاد وطنه؟ **الشيخ الإبراهيمي** هجّر ونفي وأبعد عن وطنه، ولكنه كان يجمع أموالاً وصدقاتٍ حتى يساعد طلبة العلم على تحصيله، وعندما عاد إلى وطنه رجع بحمولة ثقافية ومعرفية واجه بها المستعمر لمساعدة صديق دربه **الشيخ عبد الحميد بن باديس** بتأسيس جمعية العلماء المسلمين وحمل راية العلم والكفاح وتسليمها للنشء من بعدهم.

---

[1] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا ، ص111.

[2] إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ص95.

ثانيا: الفضاء الثّقافي

تمهيد:

الفضاء الثّقافي يمثل صورة تستخدم لوصف الجانب الثّقافيالذي يمثّل العادات والتّقاليد والقيم والمعتقدات التي يمتلكها شخص أو مجتمع تميّزه لتحديد هويته وخصوصيته المختلفة؛ فهو يستمد قيمته من الوجود الإنساني ذاته، ومن التّجارب الإنسانية التي ترسم حدوده حتى يحافظ على ما هو كلّ ما هو ثقافي لكلّ مجتمع ثقافته الخاصة التي تختلف عن المجتمعات الأخرى فالثقافة عرّفها **مالك بن نبي:** "مجموعة من الّصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح شعوريًا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه»[1]، بمعنى أنّ الثقافة هي المحيط الذي يُشَكّلُ فيه الفرد طباعه وشخصيته.

فالأديب ابن بـيئـتة التي يعبّر عنها؛ فهو ينقل لنا تجربة إنسانية فقد يتعارض على الثقافة السّائدة في المجتمع الذي يتحدث عنه، وقد يقوم بطرح ثقافة مغايرة شرط أن يتبع كلّ ذلك من داخل المجتمع ويرتقي به نحو الأفضل، فالثّقافة قابلة للتطور ولكن على أن يكون هذا التّطور من الدّاخل ويتناسب مع حاجات الإنسان حتى يكون تبادلاً ثقافيًّا.»[2]

وسنقوم في هذا الفصل وهو الفصل الثّاني من البحث بتسليط الضّوء على الفضاء الثّقافي الذي تتكوّن منه روايتي **واسيني الأعرج** موضوع بحثنا، سنحاول الكشف على الصّورة التي تم التّعبير بها عن الثّقافة السّائدة.

---

[1] مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط4، 1984م، ص74.

[2] ينظر: عبد المحسن بدر، حول الأديب والواقع، القاهرة، مصر، ط2، 1981م، ص18-19.

1 ـ انتماءات عقائدية تغريبية

إنّ المتمعن في هذين الرّوايتين يلاحظ أنّ **واسيني الأعرج** يحاول دائما أن يطرح انتماء عقائديا بديلاً، ويسعى إلى تقديسه وينطلق من رؤياه الفكرية التي تعبّر عنه أعماله، فانتماءه تغريبي لأنه غير مأخوذ من المجتمع العربي الذي ينطلق من الإيمان بوحدانية الله، فهو متأثر بالمنهج الفكري الأوروبي الذي تمرّد على الدّين؛ وذلك «بِتَأْلِيهِ الإنسان وإحلال غرائزه وتصوراته محلّ الدّين والأخلاق بمسوّغ النّهضة والتّقدم والتّنوير والعلمانية.»[1]

ففي رواية "كتاب الأمير" يقدّم لنا الرّواي بطل الرواية **الأمير عبد القادر** التي تقاسم بطولتها مع الرّاهب ديبوش وهو يمثل شخصية تاريخية إنسانا عاديا بسيطا سطحيا مستسلما بدون موقف متواكلا لا متوكلاً ينتظر الفرج من الله ولا ييأس من رحمته، فهذا فهم البسطاء يؤمنون بخالقهم، ويدعون الله في أوقات الضيق، فهم ورثوا هذا من الثقافة الاجتماعية والثّقافة الدّينية فهذه سيطرة على شخصية تاريخية عظيمة من عظماء الإنسانية التي أثرت على العالم وكاد ينّصب ملكًا على سوريا، فألبسه شخصية لا تنتمي إليه لباسًا مستواها يهدف إلى التّنفير من شخصية الأمير الحقيقية الأصلية، حتى يدينوها تاريخيا وثقافيا وسياسيا، **فواسيني الأعرج** لم ينكر أصل الأمير جزائري شخصية مستمدة من المجتمع الجزائري، لكنّه قدّمها بصور مشّوهة بعيدة عن أصالتها ومرجعيتها تم إسقاطها على الأمير عبد القادر لمحاولة تشوّيه الانتماء هو السّبب في انحرافه على أصالته الحقيقية لأنها لا تعكس واقع ومكانة الأمير عبد القادر بصدق؛ مثلاً: تغيير الحقيقة بألفاظ مستفزة ومنفرة للمتلقي في صبّها حول شخصية الأمير "بعد جولة كبيرة (قام بها الأمير بصحة نابليون) اقتيد الأمير بصحبة البرنس لزيارة القصر نفسه وما

---

[1] ينظر: إيف بـوربير، أوروبا التّنوير، تر: محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص22-23.

يحويه من كنوز وآثار»[1] فيشعر القارئ أن فعل "اقتيد" لا يتناسب مع مقام الأمير ويدلّ على قهره وذله ومعاملته كسجين.

كان الأجدر بالروائي أن يستخدم لغة النّدية بدل فعل "اقتيد" يقول "رافق" فقد تمّ تغريبه عن واقعه وإعطائه صورة سيّئة لا تعبر عن الحقيقة الذي ينتمي إليها، وألقى اللوم على انتمائه الدّيني.**فيونس مارينا** بطل رواية "أصابع لوليتا" يرى أنّ الإنسان مركز العالم متأثرًا بأدباء غربيّين ذكرهم في أطراف الرّواية منهم **آثر كوستلر**»[2] روائي وصحفي وناقد انجليزي يهودي فكره شيوعي ومن الفنون الغربية (الرسم): الرّسام الفرنسي **غوستاف كورييه**»[3] والرّسام **دولاتور**»[4] الذي خمّن أن يكون صاحب لوحة الذّبابة التي وجدها **يونس مارينا** صدفة بين ألواح طاولة عتيقة ومن الموسيقيين «**كارل أورف** وأعماله كارمينا يورانان التي كانت تنشد أغانيها الدّنيوية بآلات ساحرة»[5]

كل هذه الفنون التي تخبّط فيها **حميد السويتري** التي تنتمي إلى الإنسان الأوروبي لم تستطع إشباع نوازع الرّوح الفطرية عنده لذلك امتلأت حياته بالقلق والاضطراب والخوف والتّمزق على الرغم أنه حاول إظهار سعادته بأن يعمل ما يحلو له بقوله يصف كلّ هذه الموجات الاضطرارية: «نكتب جزءا من حياتنا مهما هربنا منها هناك روايات نحبّها رغم فشلها في السّوق وهناك روايات نكرهها رغم نجاحها، فقد عذّبتني ولكنّي أحببتها رغم فشلها في السّوق كنت سعيدًا أني تحدثت عن اللذة والمتّعة التي يجدها القاتل

---

[1] واسيني الأعرج، كتاب الأمير، ص579.

[2] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، ص64.

[3] ا المصدر نفسه، ص77.

[4] ا المصدر نفسه، ص451.

[5] المصدر نفسه، ص38.

وهو يجهز على شخص لا يعرفه ولم يؤذه أحسست بالمصدر الذي ظلّ يهددني، ولكنّي آخذه بجدية يخيفني الصّمت أكثر من الضجيج»[1] إلا أنّ الحقيقة تثبت أنّه غير سعيد، فلو كان سعيدًا لحقق الاستقرار في حياته وتزوج وكوّن أسرة، وليس بإتباعه حاسة شمّه الحيوانية ليتربص بعطر جديد لأي امرأة تقف أمامه ليصطادها اصطادته هي وإلاّ لما وصل إلى هذه النّهاية، لأنّه يحمل انتماءً تغريبيّا لا يتفق مع انتمائه الحقيقي غير نابع منه يوهم نفسه لتقبّله والتّأقلم معه.

وما يلاحظ أيضا على **واسني الأعرج** بالإضافة إلى إنتاج شخصيات جزئية مضطربة إلى تغريب الأسماء سواءً للشخصيات أو الأماكن؛ فاسم بطل الرّواية **يونس مارينا**؛ فمارينا رمز بها لمدينة مغنية التي ينتمي إليها مع الرّئيس **أحمد بن بلّة** كاسم تمويهي حتى لا يتعرفون عليه مطاردوه»[2] «ومارينا اسم غربي حمله مشاهير كالشّاعرة الرّوسية: مارينا تستافيا الذي يعني الفتاة الجميلة القادمة من البحر الذي يدلّ على معان جميلة كالجوهر واللؤلؤ، يحمل معاني الشّفافية والوضوح والصّراحة»[3]؛لكن الكاتب وظفه كرمز من ناحية نفسية، فهو كان واضحا في موقفه بمساندة الرئيس **أحمد بن بلة** ومن ناحية أخرى قريب من الصياغة تركيب اسم "مغنية".

واسم "لوليتا" بطلة الرّواية يعود إلى رواية لوليتا الرّواية الروسية أراد به استحضار شخصية لوليتا وإسقاطها على نوّة أو ملاك، وتشبيه نفسه بـ "همبر" **(**بطل الرواية**)** الذي استغل الفتاة القاصر بممارسة الجنس معها، وهو زوج أمّها للكاتب الرّوسي **نابوكوف**»[4]

---

[1] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا ، ص35– 36.

[2] ينظر، المصدر نفسه ، ص85.

[3] ينظر، موسوعة الشرق الأوسط، معنى اسم مارينا، بتاريخ 2024/5/15، الساعة 11: 35، عن https: //mawsoaa.com

[4] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، ص47.

فهذا الإسقاط والاستحضار في الأسماء يحمل دلالات لها مرجعية ثقافية غربية تدلّ على الانتماء للتغريب الثّقافي لدى الكاتب، وهي لم تختر بمحض الصدفة وضعها لتوصيل رسالة ما كأن يحفز القارئ ويستثيره لاقتناء رواية لوليتا الأصلية ووضع مقارنة بينهما لتوضيح مدى التّقارب بينهما وبالتالي تحدث مع القارئ مقاربة ثقافية غربية.

من خلال دراستنا للرّوايتين "كتاب الأمير" "أصابع لوليتا" ولاحظنا احتفاءً كبيرًا بالأعلام الغربية؛ فالرّوائي مجّد ثقافة الغرب جرّاء تعلقه بالعالم الغربي وبدراسة ثقافة الاستعمار((لم تتحرّر البنى الثّقافية في بلادنا حتّى بعد زوال الاستعمار، إذا لا تزال آثاره ماثلة في الأبنية المخفية من اللاّوعي، وشواهد قائمة في الأبنية المرئية من الوعي، كاستعمار العقل حتى الدّاخل.»[1]

فنصّ "أصابع لوليتا" محتفٍ بأسماء غربية من ميادين وفنون مختلفة تأثر بها **واسيني الأعرج** جراء انبهاره بها، أراد من خلالها «اختراق التّقليد في بنائه للنّص الرّوائي وتأسيس جماليات جديدة من شأنها أن ترفع رهان التلقي؛ لإحلال عرف جديدة قوامه المزج والخلط والتراسل حتّى يحكم عليه بالتّجديد من خلال تداخل فنّ الكتابة مع الموسيقى والرّسم والسينما.»[2]

ورواية الأمير كان انبهار **واسيني الأعرج** كبيرا بشخصية الرّاهب **ديبوش مونسينيور** حتى جعله بطلا مع الأمير أعجب واحتفى به على حساب تاريخ **الأمير عبد القادر**، فقد حصر فترة جهاده وأسره كلّها في فترة تعرّفه على هذا الرّاهب وما زاد الأمر عجبًا الرّاوي هو **جون موبي** خادم القس **ديبوش مونسينيور** فكان بالنسبة إليه أبًا وأخًا:

---

[1] عباس عبد جاسم، نقطة ابتداء الحداثة والتحديث والنقد الثقافي، منشورات مركز لاكويز الثقافي، إقليم كردستان، العراق، د.ط، 2013، ص35.

[2] ينظر، دليلة زغودي، تراسل الفنون في كتابات واسيني الأعرج، مجلة مقاليد، تلمسان، الجزائر، العدد11، 2016، ص07.

«كان كلّ شيء في حياتي، خدمته أكثر من عشرين سنة، جئت معه إلى هذه عندما عيّن أسقفًا على الجزائر وصاحبه في كلّ منافيه إلى أن مات»[1] إن أرجعنا الأمر إلى حقيقته فالخادم **جون موبي** روى سيرة الأسقف **مونسنيور** ولا نلومه في تعظيم أمر سيّده، ولكن لم يكن أمرًا منطقيا أن ننسب مرحلة تاريخية عظيمة من مراحل تاريخ دولة عظيمة سجلت اسمها بحروف من ذهب في تاريخ البشرية وأصبحت مثلا يحتذى به من بين أحرار العالم وهي الجزائر العظمى في جهادها والذي مثّل هذه المرحلة **الأمير عبد القادر** مؤسس هذه العظمة حتى يأتي خادمًا ويروي قصة حياته وجهاده.

فالرّاوي تقّصد ذلك بتعظيم شخصية فرنسيّة حتى يتصالح مع التّاريخ، ولكن ليس على حساب ضرب وطعن في التّاريخ والانتماء الأصلي لهذه الشخصية التي تمثل أمّة بأكملها بالإضافة إلى أنَّ صورة الرّاهب الفرنسي بدت «أكثر إتقانًا من تلك الصورة التي تجسد الأمير، ولعلّ خير دليل على اضطراب المؤلف في رسمها ما يلمسه المتلقي من تناقض في بنية لغتها اللهجة العامية»[2] نحن لا ننكر مجهودات الأسقف في سبيل إنقاذ **الأمير عبد القادر** وإخراجه من الأسر الذي عانى منه لسنين عديدة، ولكن ليس لحدّ تمجيده والاحتفال به كبطل تاريخي، وتنسى ظلمة استعمار دامت قرن وثلث القرن، لولا حفاظ الشّعب على هويتهوانتمائه لاستمرت الظلمة إلى يوم يبعثون.

والأمر الذي ينتقد ويؤخذ على **واسيني الأعرج**أنه في منجزه الرّوائي هذا استهلاله واختتامه بترجمة من حياة الأسقف **مونسينيور**، فأين هو الأمير؟ فلن يتوقف هنا **واسيني الأعرج** أنه تأسّف في عدة لقاءات تليفزيونية أن الجهات المسؤولة لم تسمح له بعرض روايته كسيناريو في فيلم يجسد "حياة الأمير" منها لقاؤه من خلال قناة الشروق نيوز

---

[1] واسيني الأعرج، كتاب الأمير، ص11.

[2] ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، ص247.

الجزائرية في حصة "أمّا بعد". فأين هي هذه السّيرة التي سيعرضها؟ اللّهم السّيرة التي سترضي الآخر؛ ولن ترضي أصالة الأمير وانتمائه العقائدي.

ولن ننسى محاولة إظهار كلّ من أشرف على أسر الأمير ونفيه من ضباط وجنرالات الاستعمار الفرنسي في صورة حسنة على لسان **الأمير عبد القادر** في عدة مواضع من الرواية منها: «كتبت كثيرًا وقرأت كثيرا وقد ساعدني **بواسيني** في الاطّلاع على ثقافتكم وعلومكم، وأصبحت وقريبا منكم، لقد كان أستاذي الفاضل وتحمل ثقل طالب مسنّ ومشى معه خطوة خطوة»[1]

وفي موضع آخر، يترحم على **بيجو** وهو يتحاور مع الجنرال كوربي ((لو استطاع الماريشال **بيجو** الله يرحمه أن يقلّل من أنانيته العسكرية وأن يذهب نحو حسابات أوسع»[2]و من الغريب أيضا اعتبره صديق وهذا ما نقل على لسان مونسينيور: ((وأنا ألوّح برسالة الأمير، كان يعرف أنّ حزن الأمير سيكون كبيرا ومفجعا. فقد خسر في شخصيّة بيجو خصما عنيدا وصديقا تقاسم معه سعير الحرب))[3]من جهة الأمير يعرف بأنّه لا يجوز الترحم على الكافر الذي أعطى الأمر بحرق كلّ شيء، ومن جهة ثانية إن كانوا كلهم إنسانيون وأصدقاء فمن هو العدوّ الذي دمّر البلاد والعباد؟ أم أتى الاستعمار -حسب رأيه- لينشر الحضارة كما يدّعي؟

2 ـ تشويه الموروث الثقافي

سنرى كيف أظهر **واسيني الأعرج** الدّين والأخلاق، والتّقاليد والقيم والمؤسسات الثّقافية الاجتماعية في المجتمع؟ وهل يسعى الكاتب في الروايتين، إلى تجسيد هذه

---

[1] حصة(أما بعد)، قناة الشّروق نيوز الجزائرية، بتاريخ: 08 جوان 2023.

[2]واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، ص582.

[3]المصدر نفسه، ص545.

الأشياء لترسيخها، أم لتغييرها؟ سنحاول أن نصل إلى الإجابة في التحليل الآتي، وسنبدأ بالدين، ثم الأخلاق والتقاليد والقيم.

أ . الدين.

لم يعد الاستهزاء بالدين أمرًا غريبًا لدى الأدباء والقراء لم تتوقف حدودهم في التّتبعبل أصبح التّهكم على المقدسات الدينية عاديا، فكيف ظهرت صورة الدّين في الروايتين المدرستين؟ «إنّ التّراكيب المستويات داخل الممارسة النّظرية والتّطبيقية للمشتغلين بقضية الحضارة الإسلامية يدفعنا اليوم لقراءة إنتاجهم المتعلق بهذه القضية قراءة نقدية، لكشف خضوع هذا الإنتاج إلى الشّروط التّاريخية التي تدخل فيها المعرفي بالسياسي والدنيوي بالديني»[1]

وما يثير الانتباه في هذا الفضاء الرّوائي ألفاظ جديدة، حديثة أسقطها الكاتب على شخصية الأمير أكسبها حمولة ثقافية غير زمن الأمير، سواءً في بنائها أو دلالتها، فقدت تدخّل **واسيني الأعرج** في صنع انتماء تغريبي لا ينتمي إلى انتماء أصيل نشأ عليه الأمير، وقد تكررت كثيرًا في النّص، نذكر منها: « لقد أراد الله، والأقدار أن تتوقف المواصلة معناها الانتحار»[2] فهذه صيغ بعيدة عن لغة الأمير، فلا يمكن أن يقولها فهو متشبع بلغة الدين وشرعه وأحكامه، ومن الصّيغ التي عرضت في خطابات شخصية الأمير التي تدّل على العنف في هذا المشهد الذي نقله الكاتب بين الأمير والرّاهب **مونسينيور**: «في كلّ الأديان، شيء من التّطرّف»[3] فلا يمكن أن يطأ وأن يخطر على

---

[1] ينظر، حسن السماهيجي وآخرون، عبد الله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003، ص221.

[2] واسيني الأعرج، كتاب الأمير، ص514.

[3] المصدر نفسه، ص148.

ذهن فقيه متصوف، ومن عاش على تعاليم الدين السّمحة في حربه وسلمه أن يقول تطرّف الأديان ويخلط بينها.

وفي قوله معاتبا نائبه على قتل الأسرى: «ها قد عدنا لإسلام لا يعرف إلاّ الحرق والتّدمير والقتل والإبادة كما ألصقت هذه الصورة بنا لقد أمضيت كلّ سنوات الحرب أثبت للآخرين أننا نحارب، لكن لنا مروءة ورجولة، لقد دفعنا أعداءنا لتقليدنا...» [1]

فهذه ليست لغة **الأمير عبد القادر**، فهي لا تتناسب وسياقه التاريخي والثقافي، يستحيل لفقيه في الدّين، أن يلصق بالإسلام الحرق والتدمير والقتل والإبادة والغنيمة، فهذه الصيّغ الجديدة قد شوهت تعاليم الإسلام السّمحة في الجهاد، وفي التّعامل مع الأسرى.

ضف إلى ذلك ما ورد على لسان الأمير في لهجة انتقاء لاذعة في قضايا دينية دلّت على التهوّر، واتهام النّفس بالتّقصير: «النّاس عندما يقفون في مواجهة الشّرفات لا يتذكرون حماقة الحكام، ولكنهم يستمتعون بأدوات سياحيّة، هي في العمق أناس تركوا وراءهم حياتهم، وأولادهم وذويهم، واندثروا، لا ألوم أحدًا، لدينا ما هو أسوأ في تاريخنا الإسلامي، معظم خلفائنا مرّوا على النصل، قتلوا من ذويهم كبار علمائنا أحرقوا وابن المقفع شوّي حيًّا لولا ضربات الحظّ، ابن عربي اتهمه الجهلة بالمروق وغيرهم... للأديان **مونسينيور**، أوجّه أخرى مظلمة جدًّا، ولكنّي أقول حبذا لو يتعظ الإنسان وهو يرى هذه الجروح ويحسّ وقعها»[2]. لا تصدر هذه الانتقادات السّلبية من الأمير للأحداث التّاريخية العربية المقترنة بالدّين الإسلامي.

فالإسلام بعيد عن الصّراعات المذهبية، فهو دين مكتمل على توظيف الحياة بشكل سليم، لكن فهم الإنسان الخاطئ له باسترجاع واستعادة مشاهد التاريخية، توحي

---

[1] واسيني الأعرج، كتاب الأمير ، ص409.

[2] المصدر نفسه، ص146.

بظلم الإنسان وفي فقده لحرّيته، وهذا الأمر يجب التّنبيه عليه، فالدّين ينهى عن قتل النّفس البشرية إلاّ بالحق، إلاّ أنّ التّهكم واضح في وجه الموروث التّاريخي الثّقافي، يقول الشّاهد: «**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**»[1] وبين الفهم المنقول للفكر الغربي المقصود من الكاتب وبين الإسلام يحدث التّناقض بين الحقيقة والتّخييل، فتنتج عنه ثقافة اجتماعية تسحق الإنسان.

وفي مواطن أخرى من الرواية جعلت من شخصية الأمير العالم بدينه العارف بالأديان (الشرائع) الأخرى مخالفة ومغايرة، له من خلال دعوته للقس **مونسينيورديبوش** بأن يساعده بمدّه بكاهن يعرف العربية، حتى يعرّفه على المسحية، فإن اطمئن لها قبل بها: «امنحني من وقتك قليلاً لأتعرف على دينك، وإذا اقتنعت به سرت نحوه»[2] لغة بريءٌ منها الأمير براءة الذئب من دم يوسف في لغة عبّر بها الكاتب عن مرجعيته الغربية.

أليس غريبا أن نجد الفرنسي **برونو إيتين** قد أدرك المرجعية الإسلامية التي نشأ عليها الأمير، وشكلّت اتساع فكره «أدرك الأمير في خضمّ آلامه في المنفى، أنّ السياسة تضيق المدى الكوني، أمّا القداسة فهي بالعكس تزيده سعة وبراحا»[3] وهو من الطرف الآخر، على عكس **واسيني الأعرج** الجزائري الذي يشترك مع **الأمير عبد القادر** في الانتماء العربي الإسلامي، فليس من حقّه أن ينطق الشّخصية بلغة لا تتناسب مع مرجعياته الثّقافية والدّينية والتّاريخية فقط من أجل التّخييل وفق ما يرضي المتلقي الغربي العلماني وما يثبت غلوّ المرجعية الغربية على تصوّر المؤلف فقد شبّه وجه الأمير

---

[1] سورة الإسراء، الآية 33.

[2] واسيني الأعرج، كتاب الأمير، ص51.

[3] برونواتيين، عبد القادر الجزائري، تر: ميشيل خوري، درا الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص 263.

المتعب الذي يعلوه الاصفرار بالمسيحي: «قالها الأمير بشكل بارد برزت معه عيناه الزرقاوان ووجهه الذي علاه قليل من الاصفرار، مثل وجه كاهن مسيحي»[1].

من المؤكّد أنّ **واسيني الأعرج** يستطيع تشبيه اصفرار وجه الأمير بأيّ تشبيه آخر، وهو صاحب لغة حتى يقرّب المتلقّي قوة المشهد، ليس بالضّرورة أن يستقلّ فقط وجه الكاهن المسيحي بالاصفرار، فتوجد صور وتشبيهات من الطّبيعة تقوّي المعنى كاصفرار اللّيمون، أو اصفرار أوراق الأشجار في الخريف... قمّة التناقض، أن تتكلّم عن شخصية عظيمة من عظماء الإسلام كأنها مسيحية، فهذا انتماء تغريبي ورفض للمعتقدات الدينية.

لم يخف الاستعمار الفرنسي رغبته في تحويل هويّة الأمير، سواء كانوا عسكريّين أو مسؤولي دولة أو رجال الدّين فالرّاهب **ديبوش** حاول كثيرا التّأثير في الأمير حتى ينزع منه الهوية الإسلامية، منها: «كنت أريده مسيحيا يخدم رسالة المسيح العالية، وكنت مستعدًا لأن أرحل بصحبته إلى البابا لتعميده ليصير واحدًا منّا»[2] ما نلاحظه من قول **ديبوش مونسينيور** أنّه يحمل صورا مشوّهة عن الإسلام كالعنف، وخصّ رسالة المسيحية بالسّمو مقابل الإسلام الذي ينتمي إليه **الأمير عبد القادر**، كأن كلام الرّاهب يوحي استخسار الأمير في الإسلام، أراد أن يقوي المسيحية بالانتماء إليها: «تمنيته مسيحيًّا نزهو به كأخ ونقلته تعاليمنا»[3].

من الغرابة أن نجد عظيما من عظماء الإنسانية، بحاجة إلى معرفة المسيحية كدين، وهو أعلم بأنّها شريعة فقط، وليست دينًا، حتى يطلب تعلّمها، ويقرأ الإنجيل، وهو

---

[1] واسيني الأعرج، كتاب الأمير، ص264.

[2] المصدر نفسه ، ص615.

[3] المصدر نفسه، ص248.

يعرف تفاصيل هذه الشريعة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، سورة آل عمران، المائدة مريم... ليس بحاجة إلى علم راهب «كما أشتهي أن أحدثك عن كلّ ما يجمعنا، بدأت وأقرأ كتابكم –الإنجيل– وفي فترة إقامتك بجانبي أتمنى أن تسمح لي بمساءلتك عن بعض القضايا الغامضة، لم تتح لي الحروب والتّنقلات المستمرة، إلا قراءة شذرات صغيرة هنا وهناك، ولكنّي هذه المرّة مصمم على قراءته كاملا، وفهمه إن أمكن»[1]، فهذه الرؤية غير مناسبة لِعِلْم الأمير بدينه ويقينه بأنّ الدّين عند الله الإسلام، فهو أكبر من أن يحاور راهبًا في مسيحيته، فليس من حق الكاتب أن يرجح كفّة الرّاهب على كفّة الأمير العلمية الدينية ويعتبر **ديبوش** أكثر انفتاحا وثقافة من الأمير، فلا يمكن إخفاء صورته العالمة المثقفة، ومجاورته العلماء، من بين الأسس التي وضعها في إنشاء دولته وإمارته، وضع أسس التّعليم، يقول الأمير: «كان كلّ من أراد الاستزادة من العلم يجد الوسائل... حيث يوجد معلمون حدّدت لهم مكافآت مالية أو عينية وفقًا لمعرفتهم واستحقاقهم... واعتاد جنودي لمعرفتهم بحرصي على الكتب أن يحملوا لي المخطوطات التي يصادفونها في غزواتهم، وكنت أمنحهم المكافآت تشجيعًا لهم، ولقد أودعت هذه الكتب فيما بعد المساجد والمحافل بين يدي علماء أهل ثقة، وكنت أنوي أن أنشئ مكتبة واسعة، وكانت معظم الكتب التي خصصتها لبدء تكوينها في "زمالة" عندما استولى عليها ابن الملك (دوق أومال) وهكذا كان من المؤلم لي إضافة لآلامي لأخرى، أن ألاحق كتابتكم عن طريق المدينة لأستعيد الأوراق المنتزعة من كتب عانيت المشقات في جمعها»[2] للأسف هذه شهادة من مؤرّخ فرنسي عرف شغف الأمير للعلم حتى في أسره كان يعلّم ويؤلّف الكتب فانصرف إلى التأسّي بعباداته لله والكتابة: ككتاب "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل"، وكتاب "المقراض الجاد

---

[1] واسيني الأعرج، كتاب الأمير، ص49.

[2] برونوإتيين، عبد القادر الجزائري، ص163–164.

لقطع لسان الطّاعن في دين الإسلام بالباطل والإلحاد" «ويستغل هذا المنفى الدّاخلي لأعداد عدة مؤلفات»[1]

عانى كثيرا الأمير للمحافظة على هويّته وثقافته في حربه وأسره ومنفاه «أدرك أنّ الكتب إحدى أهم وسائل حفظ هويته، لهذا جعلها جزءًا من مكونات "الزمالة" مدينته التي ابتكرها، والتي تجمع بين التّنقّل والقتال، فتوثيق الأمير فضح أفعال المستعمر الهمجية بها وبيّنت أنّ جهاده لم يكن من أجل الأرض فقط، بل من أجل الحفاظ على إرثه الثقافي وقد اعترف **برونو إيتين** بهمجية الفرنسيين»[2] نستغرب ونتعجب من **واسيني الأعرج** عند نقل صورة بأنّ الأمير جاهل بدين المسيحية وتقصيره في تتبع آثار الأمير وإرثه الثّقافي، **فواسيني**فَقَدَ ثقة المتلقّي عند قراءة نصّه، فيجب أن يتعزّز ويتسلّح أوّلا بمعرفة الأمير من كتب التّاريخ، وبعدها يطّلع على نصه حتى ينصف الأمير.

ومع كل محاولات **مونسينيورديبوش** لتنصير الأمير قابله الأمير بالرّفض التّام والجازم، «ولكنه كان أقوى من أن يكون رجل دين واحد، فقد كان مسلمًا في قلب كلّ المعارك الكبرى لمصلحة الإنسان»[3] فالأمير لم يرضخ لأيّ موقف واجهه لإلغاء عروبته وإسلامه، فهو كان متشبثًا بإيمانه القوي بانتمائه ومشدودا إلى وطنه في كلّ مراحل حياته فهو لم يحزن لهزيمته، كربته كانت بفقد أرض أحبها «التراجيديا هي عندما تستيقظ فجرا، وتدرك فجأة، أنّ الأرض التي نبتّ فيها، ونبت فيها الذين تحبّهم، لم تعد قادرة على

---

[1]برونواتيين، عبد القادر الجزائري ، ص264.

[2]ينظر، ماجدة محمود، إشكالية الأنا والآخر، ص232.

[3]واسيني الأعرج، كتاب الأمير، ص615.

تحمّلك، وأنت ستموت بعيدا عنها، وأن تربتها ستظل جائعة إليك وتظل وأنت كذلك جائعا إليها، هناك جاذبية بين الأجساد والأرض الأولى.»[1]

وفي مظهر آخر **لواسيني الأعرج** في جعل الأمير جاهلاً لأحكام الصلاة أثناء القتال «في الكثير من الحروب قتل أناس كثيرون وهم يصلون، ولم يستطيعوا توقيف صلاتهم للدفاع عن أنفسهم»[2] هذا القول لا ينسجم مع تربية وثقافة الأمير، وهو يعلم أنّه حافظ لكتاب الله، ويدرك معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ﴾[3]في تقسيم الجيش إلى قسمين، قسم يصلي وقسم آخر يحرس.

وفي سياق قمع آخر أساء به إلى ثقافته ودين الشّخصية، حين قال الكاتب: «ترك موجات الرّوح تهدهده وتقوده إلى مشارف الإسكندرية، قبل أن تدحرجه نحو أرض الحجاز»[4] كأن الكاتب سخر واستهزأ من عبادة الحجّ بصيغة الفعل (أن تدحرجه) في سياق ذكر الكاتب أيام الحجّ مع والده ونفس الصورة الهزلية في قوله: لماذا الحزن وأبواب مكة تنفتح على مصرعيها مشرعة ضوءها الأبدي على كلّ شيء بما في ذلك القلب المنكسر؟ وهو يعرف المسالك عندما جـرّه والده في رحلة دامت زمنًا طويلاً»[5]

---

[1] برونواتيين، عبد القادر الجزائري، ص615.

[2] واسيني الأعرج، كتاب الأمير ، ص 526.

[3] سورة النساء، الآية 102.

[4] واسيني الأعرج، كتاب الأمير، ص517.

[5] المصدر نفسه، ص516.

فهل رحلة الحج تكون بالجرّ؟ يعني بالقسر والإجبار!؟ فعبادة الحجّ من عبادات الله الخالصة، وهو سبب لحصول المغفرة والعتق من النّار لقوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[1]

هنا نجد الكاتب قد طعن في عقيدة المسلم بشكل عام، وضرب في عقيدة الأمير بشكل خاص، لأنّ الحجّ من الأركان الخمسة التي فرضت على المسلم للتقرب من الله تعالى؛ وإهانة للأمير، هل هو كرة ليتدحرج!؟ وهل هو عبد من العبيد حتى يجر مسلوب الإرادة والقناعة بالقيام بفرض العبادة!؟

فيونس مارينا برواية "عرش الشيطان" الذي ألّفها في مدة ثلاثة سنوات –ولم كلّ هذا العناء في نقد كتاب محفوظ!؟– حيث لقت احتفاءً جماهيريًّا، كما رأينا في الفضاء التّاريخي، «لم يعلم السّر المتخفّي الذي جعل روايته الأخيرة "عرش الشيطان" بعد ثلاثية كتاب الحشرات: طنين الذّبابة، حرقة الفراشة وذئاب العقيد، تنال كلّ هذا الاهتمام المتزايد... لم ير في عرش الشيطان أيّ استثناء، ولا أيّ جهد خارق يضعه في أفق الدهشة، مجرّد لحظة هاربة لاختراق سرية القرآن اللّذيذ»[2]

اشتهرت هذه الرواية في أوروبا وترجمت إلى عدة لغات؛ لأنّها تضرب وتطعن في أسس الهويّة الثّقافية الإسلامية في القرآن الكريم، وجمعه على قراءة واحدة؛ وهذا ما جعل أوروبا تروّج لهذه الرّواية وفرنسا تؤمّن له الحماية عندما توعّدت الجماعة الإسلامية قتله جرّاء تطاوله على المعتقدات وارتداده فشّبه كفره بعبد الله بن المقفع، وسلمان رشدي.

ويستمر الكاتب من خلال أبطاله السّخرية في رفض المعتقدات الدّينية في المجتمع إذ تقوم بدور سلبي من وجهة نظره، فوصل به الأمر التّطاول على المساجد،

---

[1] سورة الحج، الآية 27.

[2] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، ص17.

وزعزعة مكانتها وقيمتها، فكلّ ضرب لليقينيّات والمركزيات لا تكون على لسانه بل على ألسنة أخرى، ينسبها إليهم، وهذا على لسان بطلته لوليتا«حتى المساجد تصلح للمواعيد العشيقة، ولو أنّهم أفقدوها بعضا من ألقها الجميل، أشعر دائما أنّه في عمقها صمت غريب، لا أحد يستطيع معرفته، صمت الصّلوات والآلهة والخوف من آت لا نحسّ به ولا نلمسه، لا نعرف عنه أيّ شيء، لكنّه موجود فينا، الإنسان يصبح صغيرًا في هذه الأمكنة»[1]، بل العكس الإنسان لا يصغر، فتكبر قيمته، فهو يقصد بيت الله، فهي خير البقاع على وجه الأرض، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[2] وعمّارها هم صفوة الخلق من الأنبياء والرّسل، ومن تبعهم من المؤمنين، فهيمنارات العلم والهدى، وفيها مجالس الذّكر والعبادة، وتوحيد الله، وليس الآلهة كما قالت السّاردة، وتحسّس المسلم بالأمن والأمان لأنه يؤمن بالقضاء والقدر خيره وشرّه «لا الخوف من آت، لا نحسّ به ولا نلمسه» كما قالت؛ هي محقة في رأيها أنّ الخوف مصاحبًا لها؛ لأنها بعيدة عن المساجد وعظمتها في الدنيا والآخرة.

طلبت لوليتا أمرًا صادمًا من يونس مارينا بأنّ يصلّي من أجلها للتخفيف عن ذنوبها، فهي تعلم بمرجعيتها الإسلامية قبلاً بأن الصّلوات الخمس يمحين الخطايا لا تعظيم شأنها الذي كان يراها حرّية شخصية، وليس فرضًا واجبًا بقوله: «ارتكب كل موبقات الدّنيا، افعل ما تشاء، ثم مع المرأة التي تريد، لكن صلّ من أجلي، الصّلاة حالة خاصة يعيشك»[3] دين جديد غريب فيه استخفاف بقدسيّة الصّلاة التي فرضت في السّماوات في رحلة الإسراء والمعراج، فهذه صفة الضالين الذين قال الله تعالى عنهم:

---

[1]واسيني الأعرج، أصابع لوليتا ، ص186.

[2]سورة الجنّ، الآية 18.

[3] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، ص422، -423.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾[1] ونعوذ بالله، لقد توعدّهم بالعذاب في قوله عز وجل: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[2]فيفهمون الدّين ما يكون في مصالحهم المادّية فقط، ما استوعبت من فقهاء وعارفي جاكرتًا إلاّ ما يخصّها من مصلحة يقولون: «إنّه حتّى عندما نعذّب ويعاد بعثنا وغسلنا من كلّ ذنوبنا واقتيادنا إلى جنة الخلد لا يستطيع الرّجل وقتها أن يختار رفيقة خلوده الأبدي، وخلوته الجميلة من بين كلّ الحوريات، يستطيع أن يقول للملائكة: لا أريد حوريات، ولا ولدان مخلّدين أشتهي فقط حبيبة خسرتها بغباوة، أريدها أن تكون لي وأن أشبعي جوعي إليها، وتشبع منّي، يقول المؤمن خاشعًا خشوعًا، فقد جئتك جائعا يا مولاي، لا تدخلني في ما لا أريده، صلّيت طوال عمري فقطلتسمعني، لكن هذا كلّه مشروط بأداء الصلوات الخمس»[3]، فهذا إسقاط لحياتهم المنحرفة، حتّى في الآخرة يعتقدون بوجود انفلات وليس حسابًا ونصبًا للموازين، ثقافة ضالة يزرعونها حتى تعم الفوضى في العلاقات الاجتماعية، وأن تكون العبادة وقتية وفيها مقابل مادّي، ولا تكون تقربًا لله لكسب مرضاته واستخفاف من رابط الزّواج أيضا بدّلوا مفهومه وقيمته، فالمسلم يعلم أنّ الله يجمع بين الزّوجين معا في الجنة، حتّى تقرّ أعينهم والزّوجة تكون سيدة الحور العين، وليس مرتكبي الفواحش والمعاصي الذين يجدون دائما أعذارًا ومسوغات لانفلاتهم، وظلالهم فهم يعتبرون الزّوج خناقًا وقيدًا لحرياتهم المزعومة لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَتْيْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾[4]

---

[1] سورة المائدة، الآية 58.

[2] سورة مريم، الآية 59.

[3]واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، ص421.

[4] سورة الطور، الآية 21.

ومن الموبقات التي يتباهى الكاتب في عرض أنواعها الخمر من خلال المنجز الروائي الذي يوحي من خلالها أنّه عصب حلاوة الحياة بجعلها المشروبات الرّوحية، ويفهم المتلقّي أنّ الشّعور الذي يحسّه يونس مارينا ولوليتا يسمو بروحه، ويدفعه إلى الانتشاء ورؤية الأمور بشكل مختلف، ومن زاد من تعجرف الكاتب، يروج للمسكرات ولأنواعها: «حتى كأس الرّوم التي شربها في بار مارتيم مع إيفا لم تفعل شيئا سوى أنّها أشعلت بسرعة داخله، فأيقظت كل حواسه من جديد»[1] فزاد لهيبه شوقًا لرؤية لوليتا «فلم يذب حضورها مع الكأس الأولى من البيرة البيضاء ولا مع الرّوم، ولا حتّى مع الويسكي دوبل»[2]فهو يأخذ من السّكر طقسا يستحضر به لذة الحياة، حتى تجعله حرًّا يطير أينما حلّ؛ ليطيب له العيش فيما أراد مثلما يوضحه المقطع الآتي يشتهي إيفا كلما التقاها«لكنه لم يتجرأ مرّة واحدة أن يقول لها ذلك إلا عندما تقودهما سكرة نحو دفء جميل، وقتها ينفلت منه بركانه الملتبس من الكلمات والصور المعطّرة»[3] فالكاتب أخذ من السّكر أمرًا مساعدًا على التّعبير عن مكبوتاته؛ فهي تعبر عن اضطراب شخصيته وضعفها على ارتكاب المعاصي، والجهر بالمحظورات، والتّباهي بها على أنّها من الحضارة، فهو يشجّع على معاصٍ كثيرة، وهي من الكبائر التي تميت القلب، وتقضي على الحياة، فتنتشر المعصية ويستهان فعلها بين الأفراد؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[4]

---

[1]واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، ص49.

[2]المصدر نفسه ،ص50.

[3]المصدر نفسه ، ص 50 ,

[4]سورة النور، الآيـة 19.

وعن تحريم الخمر يقول عزّ وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]

في النّص القرآني ردّ صريح على من يسعى تشكيك المسلمين في دينهم عن طريق تشويه الإسلام، وجعل الأمور القطعيّة خاضعة للأخذ والنقاش.

ومن المحرّمات التي عمد الكاتب ذكرها كثيرا على ألسنة شخصياته، خاصة لوليتا الضائعة بين ثنايا النّص الرّوائي وهي الانتحار فالفتاة كانت مجنّدة للقتل أو للانتحار؛ فكانت الشخصيات المنتحرة صديقها جيروم بعد أن اغتصبها وخانها مع الدّمى الجنسية بحرق نفسه داخل محلّه، أو بالأحرى قتلته كما وضّح الكاتب لما توصلت إليه نتائج التّحريات في الأخير، فالكاتب أنتج منها شخصية محترفة في كل الانحرافات وبفنّ وفي نفس الوقت، ضحية لظروفها لتأثره **بفرويد:** "عملاً بدرس فرويد"[2] تقول عند زيارتها الكنيسة والشعور فيها بالاطمئنان، حتى وصلت بها إلى حدّ الاعتراف يقلّدان الثقافة الغربية "تخيّل كان في نيتي الانتحار، ولكنّي أجّلت كل شيء حتى أراك"[3]

ويستمر استخفاف واستهتار واسيني الأعرج في الثّوابت الدينية، وجعل الملائكة إناثًا، والسّخرية من مكانتهم وعظمتهم بقوله: "من يتخيّل الملائكة إناثا جبرائيل، ميخائيل عزرائيل، كيف يعيش، والملائكة بلا إناثهم؟ لا بد أن تكون حياتهم جافة، أحتاج إلى ملائكة مسكونين بالهشاشة، وليس السّلطة عندما أشكوهم أحزاني وجروحي يحنون رؤوسهم بحبّ وصمت، مثلما يفعلوا العشاق المتواضعون"[4]

---

[1] سورة المائدة، الآية 90.

[2] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، ص195.

[3] المصدر نفسه، ص192.

[4] المصدر نفسه، ص52.

الغرب في حد ذاتهم–لربما– لا يصلون إلى هذه العجرفة والتّطاول على الملائكة، اليهود يؤمنون بوجودهم لكنهم يكرهونهم خاصة سيدنا جبريل؛ لأنّه أتى بالوحي إلى الرّسول –ﷺ– لكن الكاتب تحسّه وأنّه حاقد على الإسلام، فهو يسخر من كلّ مقدساته. والله توعد بمثل هؤلاء: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[1]و هذا تهديد شديد ووعيد أكيد.

من خلال ما تقدم، أظهرنا كيف يتم رفض الدّين ثقافيا واجتماعيا كمؤسسة لها مبادئ وقيم تحكم المجتمع، وكيف يقدّم على أنّه باليّا؛ لأنّه لا يحقق من حريات الإنسان، وقوانينه لا تتناسب مع قوانين الإنسان في عصر التّقدم، لذلك يجب استبداله بمعتقدات أخرى تراعي إنسان هذا العصر، بالتّالي ظهرت صورة الدّين قاتمة وغير مناسبة ويجب نسف هذه المؤسسة بالثقافة الغربية البديلة تبدو أشدّ ظلمة، من خلال الأشخاص الذين يمثّلونها.

ب ـ الأخلاق والتقاليد والقيم:

إنّ الأخلاق والتّقاليد والقيم تدخل ضمتن العناصر المكوّنة للثّقافة، فالقيم هي "المعتقدات حول الأمور، والغايات، وأشكال السّلوك المفضّلة لدى النّاس، وهي التي توجّه مشاعرهم وتفكيرهم ومواقفهم وتصرّفاتهم واختياراتهم، كما تنظّم علاقاتهم بالمكان والزمان أيضا، وتسوغ مواقفهم وتحّدد هويّتهم ومعنى وجودهم وتستمدّ هذه القيم من أنماط المعيشة، والوضع الاجتماعي والدّيني، والنّظام السّائد في المجتمع"[2]

---

[1]سورة الزخرف، الآية19.

[2] ينظر: حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص323–324.

فالأخلاق عرّفها **الجرجاني:** "عبارة عن هيئة للنّفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورؤية فإن كان الصّادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كان الصّادر عنها الأفعال القبيحة، سمّيت الهيئة التي تصدر عنها هي مصدر ذلك خلقًا سيئًا".[1]

بمعنى كلّ ما يتّصل بعمل المسلم ونشاطه وسلوكه، وما يتعلق بعلاقته بربّه، وعلاقته مع نفسه وعلاقته بمحيطه، فالإسلام يدعو إلى الأخلاق.

أمّا العادات والتّقاليد: ((عبارة عن موروثات يعود أصلها إلى نشأة الإنسان وبيئته التي يعيش فيها، إذ يعود الأمر إلى التّنوع الدّيني والجغرافي للأفراد، فنجد العادات والتّقاليد الخاصة بالمناسبات كافة تختلف من مكان إلى آخر، كما أنه ليست كلّ العادات والتّقاليد صالحة لكل الأزمنة، إذ أنّ هناك عادات إيجابية وعادات سلبية"[2]

فلكلّ شعب ثقافته المميزة، وأخلاقه وتقاليده وقيمه، ومن خلال سلوك الفرد، يمكن أن نتنبأ بالثّقافة التي ينتمي إليها، فالإنسان العربي يمكن تمييزه عن الإنسان الغربي من خلال قيمه وتقاليده وسلوكه الذي يسلكه.

سنحاول تتبع الأخلاق والتّقاليد والقيم الاجتماعية السائدة في الروايتين المدروستين للكشف عن مدى انتمائها المجتمع العربي المسلم أو تم أيضا تغريبها!؟

في روايةكتاب الأميرّ حافظ **الأمير عبد القادر** وحاشيته على ثقافته، من خلال ثباته على قيمه وأخلاقه وتقاليده، رغم التّشوهات التي رسمها الكاتب ونسبها إليه، قد أقرّ العدو بتواضعه ونبل أخلاقه، كان يحمل صفات القيادة والحكمة التي فرضت احترامه على كلّ من يتعرف عليه، حتى بلغت سيرته العالم أجمع، قد حرص على هويته الوطنية،

---

[1] خالد بن جمعة، موسوعة الأخلاق، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ط1، 2009، ص22.

[2] فريدة بالرّقي، كاتب جامع للعادات والتقاليد، سطيف، الجزائر، د.. ط، 2022، ص05.

حاملاً معه الوطن عندما نفي، ولم يتخلّ عنه، ارتحل إلى فرنسا ولم يرتد اللّباس الغربي، وبقي يلبس القميص الأبيض من الصّوف والقندورة والشّاشويتزيّنبالبرنوس ((برنسه الأبيض الحريري الذي كان يرتديه والذي طرزته أياد نسائيّة كثيرة من بينها أنامل لالّة الزّهراء، في قصر أمبواز))[1] إلاّ أنّنا نشكّ بأنّه حريريّ، أمّا أغراضه الأخرى كسيفه، لازالت مستحوذة عليها فرنسا أخذت منه أثناء ترحيله إلى المنفى: «رأى أحصنته التي سرقها السّجن منه، وهي تسلك الحفر والوديان بمشقة في فوضى كبيرة، قبل أن تصل القمة منقوصة بأكثر من ربعها رأى سيوفه البّراقة التي لم تكن كافية لمقاومة زمن لم تعد البطولة والقصائد تنفع فيه كثيرا، أغمض عينيه قليلاً، تحت وقع نقرات حدوات الأحصنة وهي الشّوارع الخلفية، وحاول أن يمحو من ذهنه كل هذه الصور القلقة» [2]

وقد شهد للأمير عفته وحيائه في سلوكه، وهذا المشهد الذي تناقلته الصّحف الفرنسية آنذاك عند دعوته للاحتفال به بصفة رسمية لإخلاء سبيله وترحيله إلى دمشق «فقد شعر بخجل كبير من رؤية الأجساد العارية... وهو في النّزل يستغفر الله على المشاهد التي رآها»[3]

رغم أسره وحزنه على وطنه المستعمر، إلاّ أنّه فرض الثّقافة الإسلامية أين ما حلّ بنى، مقبرة خاصة بحاشيته ولم يدفن موتاه في مقبرة أخرى، بل دفنهم معه في قصر أمبواز: «تركت لهم بعض الذّهب والفّضة، والنّقود لرعاية المقبرة الإسلامية، أنا كذلك تركت ورائي زوجتي الطّيبة مباركة، وعبد الله، ابني على هذه الأرض لهم الله»[4]

---

[1] واسيني الأعرج، كتاب الأمير، ص611.

[2] المصدرنفسه ، ص572.

[3] المصدرنفسه، ص576-577.

[4] المصدر نفسه، ص598.

كانت نساء القصر يمارس نشاطات تقليدية تنسيهنّ قهر النّفي: نسجن النّسيج، وحافظن على عفّتهن رغم أنّهن في فرنسا بحيث كان الأمير حريص على الحرمة مثلاً المشهد الآتي ينقل مدى الحفاظ على التّقاليد عندما قام بزيارته نابليون فجأة أخرج زوجاته: «وهو يستعدّ للقيام، دخل عليه الكماندان **بواسيني**، الذي كانت زوجته ترافق أم الأمير وزوجاته، ليعلن له عن زيارة شخص يريد رؤيته إذا سمح بذلك»[1]

إلاّ أنّ **واسيني الأعرج** لابد له أن يعيب ويسيء إلى العادات والتّقاليد، فالزّغاريد تعبّر عن فرحة المجتمع العربي المسلم الجزائري كذلك، فهي من موروثنا الثّقافي لمّا نساء المنفى في قصر أمبواز فرحن بفكّ أسرهم زغردن عبّرن عن انتصارهم في الأسر، وفرض أنفسهم على الاستعمار، عَاب عليهنّ هذا السّلوك بقوله: «علت الزغاريد الكثيرة في القصر، كانت تلك هي المرة الأولى والأخيرة التي امتلأت فيها أرجاء المكان التي كانت تشبه إلى حدّ بعيد عواء ذئاب تتدرب بصعوبة على الصّراخ»[2]

وفي موقف آخر وضع الأمير وحاشيته لا يتناسب مع ثقافتهم، وهذا عند شكر **نابليون** على تحريرهم من المنفى، ومعاملتهم معاملة الضّيوف: «إذا سمح سيدي، سأنادي الجماعة لكي يشكروكم على ما فعلتموه من أجلهم، هزَّ الكموندان **بواسيني** رأسه بالموافقة بعد أن أشار له **البرنس** بعينيه، نادى الأمير كلّ حاشيته لينحني الجميع أمام منقذهم بما فيهم أمّه، لكنّ **البرنس** الرئيس مدّ يده نحوها، ورفع رأسها... فقد بقي الأمير واقفًا في مكانه مسمَّرا كالحجرة حتّى أمره **بواسيني** بالجلوس، لتجلس البقية وراءه»[3]

كيف لإنسان عربي مسلم جزائري رضي برحلة النّفي والأسر، ومعاناة من معه وموت خمس وعشرون منهم حتّى يتخلّص من التّبعية لينحني ونابليون زاره ليقابل أميرًا،

---

[1] واسيني الأعرج، كتاب الأمير ، ص565.

[2] المصدر نفسه ،ص 568

[3] المصدر نفسه، ص. ن.

وليس تابعًا، والأمير **عبد القادر** فارس، وهذا الانحناء والخضوع ليس من شيم الفروسية العربية التي تظهر وتبرز الصورة المعنوية للفارس أكثر من الصورة المادية التي تعبّر عن صلابته وهامته التي يفخر بأصله وبوطنيّته، كان أسيرًا، ووطنه محتلاً، وينحني مفارقة كبيرة، فالانحناء هو بروتوكول غربي يدّل على التّبعية.

إذا كانت الأخلاق والقيم الاجتماعية قد ظهرت في الرّواية الأولى "كتاب الأمير" أصيلة وتمّ تأصيلها من خلال رصدها وتعبيرها عن مدى أصالة الأمير ومن معه وقوتهم وشموخهم أمام قهر العدوّ، وإن كان يظهر بعض الأحيان سقط الكاتب وعدم رضاه عن هذه القيم، إلاّ أنّ الأمير يبدو مختلفا في الرّواية الثّانية "أصابع لوليتاّ من شدّة انحراف شخصياتها وخاصة أبطالها نبحث عن خلق واحد، تظهر السّخرية من الأخلاق والقيم والتّقاليد والقيم الاجتماعية العربيّة الجزائريّة بشكل واضح تعبير عن رفضها، وأنّها لا تحقق التّقدّم والتّحرر، بل تقف عائقا في طريق تحقيق حرّية الإنسان **فيونس مارينا** يقوم مع صديقاته بأفعال منافية للأخلاق والقيم باسم الحرّية الشّخصية، وجعل من العلاقات هي مصدر الأمان لهم وما يقضي على قسوة الحياة إلاّ ما يملأ قلوبهم دفئًا مؤقّتًا وحرّية، وهذا ما أكدته **إيفا** بقولها: «هل تدري يا **مارينا** أنّ الإحساس بالأمان هو أهمّ شيء بالنسبة لأيّة امرأة في مجتمع لم يقطع علاقته بذكورته الإحساس بالفراغ، واللاّجدوى مؤذيان إلى أقصى الحدود، ما يجعلنا عشّاقًا حقيقيين، هي نشوتنا بأنّنا أصبحنا جزءًا من ضرورات الآخر»[1]

والعلاقة المقرفة في هذا العمل كانت زنا المحارم بتعدّي الأب على ابنته، وهذا مناف لقانون الإنسانية جمعاء، بقيت هذه الجريمة مصاحبة لها أينما حلّت: «في آخر اللّيل عندما صعدت لأنام انتبهت لرقم الغرفة كان هو نفسه رقم غرفتي التي اغتصبني

[1] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، ص51.

فيها والدي»[1]، والمتلقّي هنا يتساءل ما هو السبب الذي جعل من الكاتب من عدم وضع حكم نهائي ضدّ الأب المجرم، بل الزوجة وهي الأم والأخ قد ساندا الأب ووقع اللّوم على الفتاة القاصر.هل تقصّد الكاتب الظّلم حتى يجعل من الفتاة منحرفة وقاتلة وتستسلم لحكم الظّروف ولا تتحكم في نفسها وتنصاع لرغباتها حسب **فرويد** ما يرى؟! وصل اضطهاد أخيها إلى ضربها في بيت**الأمير وحيد خان** الذي استضافها: "فجأة، انفتح الباب من ورائي ثم انغلق بهدوء، ثم انعكس الوجه المرعب في المرآة... أردت أن أصرخ، ولكن شيئا سدّ حلقي، كانت يده الخشنة قد طوّقت رقبتي وبدأت تضغط، وامتدت اليد الأخرى نحو الحزام... تحسّست أصابعه وجسمه وحزامه. عرفت أنّه أخي خرجت منّي صرخة واحدة، كادت تفجّر رأسي»[2]

ومن الأخلاق والقيم والتّقاليد الاجتماعية، أنّ الأخ سند لأخته وحتّى أخطأت يساندها، يوجّهها حتى تصل إلى بر الأمان، لا يكون هو والزّمن عليها، حتى وصل بها الأمر إلى الانتحار.

ولكن كان بإمكان الكاتب تغيير مجرى أحداث النّص الروائي وجعله أقل ضررا بالنسبة لشخصية **لوليتا**، إلاّ إذا أراد أن يحقق مساعٍ وأهداف من خلال ضياع هذه الشّخصية واستغلالها بالترويج للثقافة الغربية من خلال عرض أنواع الخمور، الإشهارلدور العرض والأزياء، الشّعراء والكتّاب والرّسّامين الغرب، واستغلالها أيضا بتجنيدها في العمليّات الإرهابية التي تستغلّ ضدّ الكتّاب والمثقّفين الجزائريّين خلال العشريّة السّوداء، إضافة إلى التّشهير بأنواع العطور وأسماء البارات.

---

[1] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا ، ص433.

[2] المصدر نفسه ، ص433-434.

أما شخصية **حميد سلطان سويتري**، رغم نشأته في بيئة اجتماعية قامت على أسس وقيم وأخلاق وتقاليد إسلامية جزائرية ووالده شهيد ضحّى في سبيل الوطن، إلاّ أنّه كان منحرفًا عن هذه الأخلاق لاستماعه أغاني الشّيخة الرّيميتي التي نقدها المجتمع لِمَا تحويه أغانيها من محرّمات منافية لثقافة المجتمع الجزائري وهو يمجّدها ويعلّق صورها على الحائط: «أنا حاب نفرّج على خاطري، قتلتني الخدمة، كلّ نهار وأنا منكفئ على فمي توحشت الشّيخة الرّيميتي»[1] فهو متأثّر بما ترسمه أغانيها من إغراءات وصور إباحيّة حتى أصبحت يتحسّس هذه المشاهد، فوجد في الاغتراب ملاذه وأشبع حاسة شمه الحيوانية بعطور النّساء اللاّئي كان يعاشرهن، كما أنّه تمرّد على طريقة عيشه بأنّ أمّه كانت تعمل كعاملة نظافة في مدرسة، لكن الأمّ كانت راضية، وهي صفة من صفات المؤمنين، وهي زوجته شهيد ونحن ما نعلمه أنّ الدّولة كرّمت زوجات الشّهداء بتخصيص منحة الشّهيد تحفظ لهنّ كرامتهنّ، لِمَ أنكر الكاتب ذلك؟!

وحتى الأمثلة الشّعبية المنتقاة والموظّفة في النّص الرّوائي منها: مثلٌ يدلّ على السّلبية ويجب على الإنسان أن يغير من سلوكه حتى يتعايش مع غيره ويتأقلم معهم: «أهبل تعيش، ودير روحك مهبول. تشبع كسور»[2] يعني مهما يفعل لا يدان ولا يحمّل العقاب؛ لأنّه يتعايش مع كل فئات المجتمع حتى يعامل معاملة خاصة، «ويضرب هذا المثل وقت التّلاعب والتّذاكي، والتّملص من المسؤولية»[3] وهذا عكس ما تدعو له القيم والأخلاق الآداب الإسلامية كلّ راع مسؤول عن رعيته، حتى يكون الإنسان نافعًا ومفيدًا لنفسه ولمجتمعه.. والأمثلة الشّعبية موروث ثقافي تعبّر عن نمط عيش كل مجتمع حتى

---

[1] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا ، ص107.

[2] المصدر نفسه ، ص106.

[3] أمثال شعبية جزائرية، الأوراس نيوز، في: 2024/05/14، الساعة: 22: 25 عن: https: //elauresnews.dz

تعبّر عن مدى ثقافته، وهذا المثل مرتبط بالتّجاهل وعدم المواجهة، وتحمّل مسؤولية كلّ موقف، حتى يصبح الإنسان ينحني ويخضع لكلّ شيء، يواجهه وهذه نظرة سوداويّة من الكاتب.

وأمّا عن الأغاني الشّعبية وردت أغنية منها على سبيل السّخرية من اسم علي:

علي.. علي...

زنطيط الحولي...

الذبابة تشطح...

الفكرون يغني...[1]

حتى الكاتب لا يعرف مناسبتها على لسان عمّي أحمد وهو ينكّت على **موسى بلحمر** الحزين؛ إذا أراد إخراجه من حالة الحزن، فهي غير مناسبة، ولا هو اسمه "علي"، فما هي مناسبة هذه الأغنية؟!

وتوجد أغنية أخرى أخبارنا بها الكاتب بأنّها تعرض في الأعراس.

يا لالة مولاة الدّار

سرتك كاس بلاّر

نعمّرها بالويسكي والريكار

وحلّ تشعل فيّ النّار [2]

فهذا النّوع من الغناء المتأثّر به الكاتب ويشتهر به فهو بعيد عن المستوى القيمي والأخلاقي وليس من العادات والتّقاليد الجزائرية، فهي تحمل معاني الفجور والمجون وتمجيد للخمور، والدّعوة لاستهلاكها في الأعراس كأنّها مشروب طبيعي.

---

[1] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، ص149.

[2] المصدر نفسه، ص71.

ونصل إلى أن رفض القيم والأخلاق والتّقاليد في الروايتين قد تمّ من خلال الشّخصيات التي تحمل انتماءً عقائديًاوتغريبيًا.

ثالثا: الفضاء الاجتماعي

تمهيد

يشير مصطلح "الفضاء الاجتماعي" إلى البيئة أو السّياق الذي يحدث فيه التّفاعل بين الأفراد في الفضاء الاجتماعي إذ يتمتّع الأفراد بقدر متساوٍ من القوة والتّأثير، وشيء، ويشاركون في صنع القرارات وتّشكيل التوجّهات التي يتخذها الاجتماع، كما أنّ الفضاء الاجتماعي يتضمن العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والتّواصل الذي يحدث بينهم، والقيم والعادات والتّقاليد التي يتبعونها [1]

إذ يسعى الفضاء الاجتماعي إلى كيفيّة تكوينه وكيف يؤثّر على سلوك الأفراد وتفاعلاتهم الاجتماعية، وكيف يتم تشكيل هويّتهم الاجتماعية، وسلوكهم بواسطة البيئة الاجتماعية.

1 . الأسرة والعلاقة بين الفرد والمجتمع

إنّ الأسرة تتكوّن من مجموعة من الأفراد تربط بينهم روابط وصلات معيّنةفالفرد خليّة من الأسرة، والأسرة خليّة من المجتمع، لذلك فإنّ وضع الأسرة يلخّص وضع المجتمع الذي يتكوّن من مجموعة أسر، فإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع، وإذا كانت الأسرة مفكّكة، فهذا يعني تفكّك المجتمع؛ لأن تفكّك العلاقات بين أفراد الأسرة ينعكس في علاقة هؤلاء بالمجتمع.

تختلف العلاقات الاجتماعية من مجتمع إلى آخر من خلال العلاقات الأسرية وعلاقة الفرد بالمجتمع، فالعلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع العربي المسلم تختلف

[1] ينظر: ليلى العرباوي، الفضاء الاجتماعي، مجلة تاريخ العلوم، العدد 07، د. ب، 2017، ص130.

عن غيرها من العلاقات في المجتمع الغربي، ويتحدّث **حليم بركات** عن ذلك فيقول: «إنّ المجتمع العربي مجتمع تسوده العلاقات الاجتماعية الوثيقة الشّخصانية، يلتزم فيها الفرد بالآخر والأقرباء وهذه العلاقات تتعارض مع العلاقات الثانوية السائدة في المجتمعات الرأسمالية وهي علاقات استمد فيها الفرد واكتفائه من ذاته لا من علاقته بالآخرين»[1]

ونتساءل هنا هل عبّرت الأعمال الروائية المدروسة عن ترابط الأسرة والحياة العائلية في المجتمع العربي الجزائري فقد قدّمت صورة أصيلة لواقع هذه الأسرة، أم أنّها أظهرت الأسرة مفكّكة ومشوّهة وتكون بذلك قد تركت أثرًا كبيرًا في التّغريد من خلال تصوير أسر غربية عن واقع المجتمع الجزائري المسلم!؟

ونستطيع تقسيم الحديث عن الأسرة على قسمين: الأول أسر أصيلة في تماسكها وعلاقتها المستمدّة من الواقع الذي يرصده المتن الروائي، والثاني أسر غربية في تفكّكها وعلاقتها المشبوهة، ويسيطر هذا القسم على الجانب الأعظم من عمليّ الأديب.

وفي الحديث عن الأسرة نتطرق إلى قضية صراع الأبناء مع الآباء، ونرصد علاقة الفرد بالمجتمع الذي يحتويه وأسرته.

لعلّ الصّورة الأصلية للأسرة تبدو واضحة في رواية "كتاب الأمير، مسالك أبواب الحديد"، حيث تظهر العلاقات الأسرية في مجتمع الرّواية منسجمة، فالأمير نشأ في أسرة قامت على أسس الأسرة في الإسلام على المودة والرّحمة والتّفاهم والتّعاون «وقد تزوّج **الشيخ محي الدّين** والد **الأمير عبد القادر** من أربع نسوة رزق منهنّ بستة أولاد كان الأمير ثانيهم من زوجته الثالثة **السّيدة زهرة ابنة سيدي محمد بن دوحة الحسنية** والتي

[1] حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص20-21.

توفيت عن عمر يناهز الثمانين سنة»[1] حيث اشتهرت أسرته بالعلم والتّقوى، والجهاد، والاستقرار العائلي، وهذا ما ساعده على تكوينه الشّخصية القيادية كنيّ **بأبي محمد**، أما ألقابه فهي عديدة أطلقت عليه حسب المناسبات منها: **أمير المؤمنين، ناصر الدين، الأمير الجزائري، ابن الرّاشدي.**[2]

تزوّج من ابنة عمّه **لالّة خيرة**، والتي اتصفت برزانة عقلها وكان يلقبها بأمّ البنين، إضافة إلى **عائشة، ومباركة** التي توفيت ودفنت في قصر أبواز رفقة ابنيه **محمد ومحي الدّين** إثر أسرهم ما بقي له إلا ثلاثة أبناء، وابنة واحدة **الزّهرة** على اسم جدّتها».[3]

وبعد الاحتلال الفرنسي أراد مجموعة من العلماء والوجهاء قيادة الشّيخ **محي الدين** في الجهاد، لكنه اعتذر وأشار لهم في الأخير إلى ابنه **عبد القادر**[4]، وذلك لأنّه نشأ في أسرة مستقرة أصيلة حتّى بويع وحمل لواء القيادة لإنشاء قواعد الدّولة الجزائرية الحديثة، وبهذه النشأة قويّة الدعائم المستندة إلى العقيدة السليمة، واجه هو وجيشه، وتصدّوا للاستعمار طيلة خمسة عشر عاما.

حمل الأمير **عبد القادر** صفات الابن البار والزّوج الصالح والأب المثالي والأخ السّند والحاكم العادل ومن شدة بّره وإحسانه لوالده وقف موقفًا محترمًا إزاءه، ولم يقف ضدّه وهذا عندما أعدم والده الفقيه قاضي أرزيو الذي خان الوطن.

---

[1]عبد الرزاق بن السّبع، الأمير عبد القادر وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للإبداعالشّعري، السّعوديّة، د. ط،2000، ص11.

[2] المرجع نفسه، ص12.

[3]ينظر: برونو إتيين، عبد القادر الجزائري، ص262.

[4]ينظر: شوقي الجمل، المغرب الأقصى الكبير في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط.1، 1977م، ص266.

عندما رجع الأمير من الجهاد، وجد والده قد نفّذ الحكم فقط اكتفى بقوله إنّه أستاذي **أحمد بن طاهر** وعبّر عن حزنه بالبكاء عليه قال السّارد: «رفع **عبد القادر** لحاف برنسه ومسح عينيه

ـ تبكي يا بنيّ؟

ـ لا أمسح الغبار من على وجهي، كان الله يرحمه مرجعي في الفقه خسارة كبيرة، ألم يكن هناك حلّ شرعي أقل **سوءًا** من الإعدام؟

–المرجع عندما يخطئ، يخطئ معه الغير عقوبته غير مغتفرة»[1]

وعبّر الأمير بقوله أيضا: «يا والدي الكريم، ألم يكن من الأفضل الانتظار قليلا حتى تتجلّى كل الملابسات؟

–الحكم واضح وهو حكم الله، الخيانة لا جزاء لها إلاّ **القتل** وأي انتظار هو التّشكيك في أهليتنا لحماية الأرض»[2]

فهذه المشاهد تعكس مدى أصالة واقع العلاقات الأسرية عند أهل القرآن والعلم، تكون علاقات منسجمة مترابطة لا تقف أمامها عوارض؛ فهي مبنية على الأخلاق والآداب الإسلامية، حتى تنشأ مجتمعا قويًّا، فأسرة الأمير كانت عاملاً رئيسيًا في نجاح تصديّه لوحشية الاستعمار.

لكن سنقف هنا عند لفظتي: **سوءًا** في الشّاهد الأول، و**القتل** في الشاهد الثّاني لنقول للمؤلّف فإنهما توحيان إلى معنى الجور والظّلم، كأنّه ليس مطّلعًا على أحكام الشّريعة الإسلامية بهذه اللّغة، فالقتل يكون بإزهاق روح بدون وجه حق، من الأفضل لو وظّف كلمة إعدام: فهي قصاص بحكم القانون.

---

[1] واسيني الأعرج، كتاب الأمير، ص70.

[2] المصدرنفسه، ص72.

وكلمة سوءًا تدلّ على الفساد والقبح فيصلح **أخفّ عقابًا** نتيجة الخيانة.

وما ويؤخذ على الكاتب أنّه أهمل الجانب الأسري للأمير **عبد القادر**، كيف كانت تفاصيلها فبقي هذا جانبًا خفيًّا من حياته المفعمة بالأحداث الحسام، لكن حاولنا استنباط بعض المواقف من خلال المتن الروائي لنطلّ على هذا الجانب المهم في المجتمع المسلم.

بالنّسبة لوالدته **لالاّ الزّهرة** أحيانًا يذكرها السّارد على لسان الأمير في ثنايا النّص، ذكرًا عابرًا أمّا بالنسبة للأسرة ككلّ، ذكرت مرّتين لا على سبيل الحصر؛ الأولى الخروج القسري من الدّيار ومفارقة الأرض متّجهين لقسوة المنفى والمجهول «بعد الظّهر ركب الجميع، الأمير وحاشيته، أمّه لالاّ الزهراء وزوجاته: خيرة وعيشه ومباركة وما تبقّى من قادته الذين اختاروا المنفى معه، **والدوق دومال، ولامورسيير**، على متن السّفينة الثّقيلة الصّالون لتنقلهم نحو السفينة الأصمودي التي كانت في انتظارهم في مرسى الكبير بوهران»[1] والثّانية بعد قهر الأسر وخيانة فرنسا لوعودها لسنين، حاولت فيها تغيير هويّة الأمير ومن معه بضغوطات وادّعاءات في حقه بإطلاق سراحه نحو الشرق، لكن ليس للإسكندرية مخافة فرنسا أن يتفق الأمير مع الإنجليز ويسترجع قوّته لمحاربتها بل إلى بروسة تركيا حاليا، ثم دمشق بسوريا «انطفأ عواء السّفينة للمرّة الأخيرة الذي تتجلّى بقوّة تردّدت أصداؤها عميقًا في القلوب، وبين دروب المدينة التي تنام عند أقدام البحر، كما كان يقول الأمير لتعريف المدينة التي عبرها... لوّح الأمير بيديه الاثنتين وهو الرّجل، بينما **اندفنت** النّساء في عمق السفينة باستثناء لالاّ الزهراء التي ظلّت تقبلّ يدها اليمنى وتقبض على مقابض الشّرفة الحديدية باليد اليسرى»[2]

---

[1] واسيني الأعرج، كتاب الأمير، ص483.

[2] المصدر نفسه، ص611.

فعدم ذكر وتعداد تقاسم أسرة الأمير من معاناة ومأساة لسنوات الأسرة الخمس وحرقة الموت، حتى خصّصت لموتاهم مقبرة في وسط المعتقل بأمبواز، وعدم ذكرهم في مشاركة الأمير لسنوات النّضال ضدّ الاستعمار، فهذه التّفاصيل تعمل على توضيح الحقائق للأحداث في النّص الروائي؛ فالمتلقي يشعر بأنّ الكاتب مقصّر في التّفاصيل المهمة في سيرة الأمير فقد اشتغل كثيرًا بصداقة الرّاهب **مونسينيورديبوش** مع الأمير وهي مرحلة فقط من حياته وليست حياته كلّها، فهذا الحيّز تركه فارغًا وغامضًا يتساءل فيه القارئ، أين دور أسرته في حياته؟

إضافة إلى مالفت انتباهنا هنا في القول أعلاه أنّ النّساء اندفنت في أعماق السّفينة، من المفروض قد خرج الأمير ومن معه معزّزين مكرّمين من أسر قصر أمبواز، فما سبب توظيف لفظة "اندفنت"؟وهل معنى التّستّر يحمل في دلالته معنى "الدّفن"، فهذا تحقير لمكانة النّساء المرافقات في المنفى، فهن حافظنّ على عفتهنّ، وسترهنّ طيلة سنين، والأمير ورجاله حافظوا على حرمتهم، حتى يقول الروائي: " اندفنت النساء في عمق السّفينة "

حملت شخصية **الأمير عبد القادر** مجموعة من الصفات والخصال جعلت منه يتمتع بعلاقات سياسية أو اجتماعية وهذا لتميّزه بالحسّ الاستراتيجي كقائد عسكري كبير، ورجل دولة محنّك، ومفكّر نبيل، وشاعر ملهم وصديق طيّب جمعته علاقات طيبة مع قادته مثل صهره **مصطفى بن تهامي** ومستشاره **البوحميدي** سنده القوي الذي قوى عضده به في انتصاراته ضد الاستعمار، "وعندما قتله سلطان المغرب **عبد الرحمن** مسمومًا في سجنه أثناء أداء مهمّته الدّبلوماسية عام **1947**، هذا الموقف فتق في ساعد الأمير،

فضعفت قوّة مقاومته حتى وصفها المؤرخون بنكبة **البوحميدي**»[1]، فهو كان جزءا من حياته، افتقده وحزن لفراقه ولم ينس كلمته الأخيرة: ((إذا لم أعد اذكرونا بخير، خرج مساء ولم يعد... فقد ظلت عيوننا مرتشقة فيه حتى غاب نهائيّا عنّا هو ومن معه)).[2]

كلّما مرّ من استقامة الحياةّ المدنيّة للأمير **عبد القادر** وحكمته السّياسية وتفوقه العسكري وتفقهه في الّدين، ضرب به السّارد عرض الحائط، ليُغيّر مجرى التزامه بمظاهر المجتمع المسلم، لينقل حوارًا جريئًا بين الأمير وزوجة أحد الأسرى الفرنسيّين الذين تحرّروا في سؤالها عن تعدّد الزّوجات، والغريب يجيبها بما تهوى نفس **واسيني الأعرج** في تصوّره «بين المرأة والرجل سحر ربّاني خاص، وجاذبية لا تقاوم، الإنسان قد يحبّ امرأة ثانية من أجل عينيها، وأخرى من أجل شفتها، وثالثة لجسدها، وأخرى لنور علمها... عندما نعثر على امرأة، تحمل كلّ الصّفات مثلك سنكتفي بواحدة ولن نختار غيرها ونقبل أن نموت في أحضانها...» [3]

فهذه صورة مسيئة لشخص **الأمير عبد القادر** قاد مجتمعًا عربيًّا مسلمًا القائم على مقومات وثوابت الأسرة في الإسلام التي شرعها الله سبحانه.

فهذه التّرهات لا يمكن أن تصدر عن الأمير حافظ لكتاب الله ما باقي له إلاّ أن يختلط بالنساء، ويتخلى عن عفته، ويتغزّل بالمرأة، حتى وصل به الأمر أن يفصل في العلاقة الجسدية بين المرأة والرجل، أكان لا يعلم الإجابة، وهو الرجل الفقيه الذي يستند في حياته على ما أمر الإسلام به، أباح الله عزّ وجلّ تعدّد الزوجات لأسباب عامّة

---

[1] ينظر: العيدي خيرة، موقف المغرب الأقصى من مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري(1832، 1847)، مذكرةالماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلّيّة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، جامعة غرداية، 2016/ 1017، ص 68.

[2] واسيني الأعرج، كتاب الأمير، ص 423.

[3] المصدرنفسه،ص500.

وخاصّة؛ فالأسباب العامة اجتماعية تتمثل في معالجة حالة قلّة الرّجال وكثرة النّساء وتكثير النّسل، الذي تكثر به الأمة، أمّا الأسباب الخاصّة جسدية، جنسية تخصّ المرأة والرّجل»[1]، لقوله تعالى: ﴿فانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[2] وذهب الفقهاء إلى أنّه يجب على الزّوج العدل بين الزّوجات من القسم، والنّفقة، والكسوة والسكنى وهو التّسوية بينهم[3] وفقًا لِمَا قاله الله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾[4]

ونصل أنّ شاهد الرّاوي يريد أن يهزّ من يقينيّات الأمير ويسيء إليه حتى يفقده ما يتميّز به، ويضيّع هويّته وقيمته الاجتماعية، فهذه صورة انحرافية غربيّة تقصّدها الكاتب.

فرض الأمير **عبد القادر** احترامه على الآخرين في كل علاقاته القريبة والبعيدة؛ فهو كان يتعامل مع غيره على أسس واضحة وبأخلاق رفيعة حتّى كوّنت له علاقات اجتماعية قوّية، ولم تؤثّر عليه ظروف الحرب والأسر والمنفى؛ حتى أعجب به العدوّ قبل الصّديق أينما حلّ يخطف الأضواء، إن لم يستطع التّغيير فلابد أن يترك أثرًا طيّبًا، والتّاريخ يشهد له على ذلك.

فصداقته مع **مونسينيورديبوش** التي بنيت على احترام الآراء والأديان من طرف الأمير، فمن بعد ذلك أن الأمير كان يعرف أنّ الإسلام نهى عن إكراه الآخرين للدّخول

---

[1] عادلالرّويني، أسباب تعدد الزّوجات، صحيفة الخليج، في: 05/ 05 / 2024، الساعة: 11: 00، عن https://www.alkhakeefae

[2] سورة النّساء، الآية 03.

[3] أسامة صلاح، فقه تعدد الزّوجات مقاطع مختارة من الموسوعية الفقهية، الكويت، د، ط، د، ت، ص123.

[4] سورة النّساء، الآية 03.

في دين الله يقول الله عزّ وجلّ: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[1] لكن من طرف الرّاهب قد حاول كثيرًا التّأثير على الأمير حتى يغيّر دينه يجعله مواطنا فرنسيًّا فاكتسب صداقته وفقًا لحسن المعاملة مع المواقف التي واجهها الأمير في حياته؛ حتى الرّاوي قاسم الأمير البطولة فيالرّواية بناء على هذه العلاقة، وأظهر مدى قوّتها في مواطن عديدة، كوقوف **ديبوش** مع الأمير في الأسر، ومحاولاته العديدة لإخراجه منه خاصّة بعد وفاة **بيجو**، فقد بعث رسالة للسّلطات الفرنسية يذكّرهم بمسؤوليتها الالتزام بوعودها معاملة الأمير كضيف وليس أسير والعمل على إطلاق صراحه نحو الشّرق «إنّ **عبد القادر** اليوم رهينة مثله مثل المحارب العظيم **نابليون**، لكن لديّ القناعة الكاملة أنّه لن يستمرّ طويلاً على هذه الحال لأنّه بكلّ بساطة ليس حبيس الإنجليز؛ ولكنه بين يدي سيدي العظيم لويس **نابليون**»[2]

فردّ عليه الأمير شاكرًا مجهوداته المبذولة، وإحساسه بحزنه على وضعه: «سعدت كثيرا أنّ رسالتك للرئيس وصلت إلى نهايتها عذرًا لقد أدخلتك في مسالك عذاباتي... أملي أن تجد رسالتك آذانًا صاغية تقدّر وحرقتها وأنينها»[3]

من الغريب أن نجده الرّوائي جعل كلّ من قابلهم الأمير في نضاله وأسره وأصدقائه حتى لدرجة أنّه اعتذر لأهل الأسرى الفرنسيين، قبلاً في فترة جهاده ضدّ العدو، فهل كان يعتذر الأمير عن سنين النّضال في سبيل إخراج العدو من الوطن!؟

صداقة مع الطيب **بواسيني** طبيبه، ومترجمه مع **بيجو** أسره حتى أنّه ترحهم عليه عند موته بالكوليرا: ((كان يمكن أن يكونوا بيننا اليوم لو استطاع الماريشال بيجو الله

---

[1] سورة البقرة الآية 256.

[2] واسيني الأعرج، كتاب الأمير، ص552.

[3] المصدرنفسه،ص549.

يرحمهأن يقلّل من أنانيته العسكريّة وأن يذهب نحو حسابات أوسع))[1]، وفي مقام آخر حزن على موته فهو كان يعتبره حسب واسيني صديق حرب على لسان الرّاوي: ((وأنا ألوّح برسالة الأمير كان يعرف أنّ حزن الأمير سيكون كبيرا ومفجعا. فقد خسر في شخصيّة بيجو خصما عنيدا وصديقا تقاسم معه سعير الحرب)) [2] والعجيب هذا الصّديق هو الذي أمر بحرق كلّ شيء في وطنه.

وغيرها من الصداقات، هو كلّ من يعرف سيرة الأمير يجد مدى توقعه ونبله، وحسن معاملاته، وقدرته على اكتساب الآخرين، لكن ليس أن يجعل الكاتب والقارئ للرّواية يفهم أن الفرنسيّين إنسانيّون، وكاد أن يقنعنا بأنّهم أتوا بالحضارة إلى بلادنا، وليس لاستعمارها، وسلخ هويتها، فكيف سيمحو الكاتب سنين الجهاد والمقاومة وسنين الأسر؟! فإن أراد أن يمحو العداوة ونسيان معاناة الجزائريّين طيلة مئة واثنين وثلاثين سنة، لا يكون على حساب تشويه صورة الجهاد والمقاومة، وتبسيط شخصية رموز المقاومة فسطحية شخصية الأمير في الرّواية، يريد منها تحسين صورة الاستعمار، فهذا انتماء تغريبي على حساب الانتماء الوطني.

وتظهر صورة الأسرة المتماسكة في البداية ثم تتفكّك بفعل حدث طارئ وهذا ما نجده واضحًا في رواية أصابع لوليتا، حين تتفكك الأسرة بسبب مطاردة **يونس مارينا** سياسيا، وهروبه إلى فرنسا، وتركه أمّه **جوهرة** وراءه معذّبة: «سأغادر البيت مؤقتا، لا تسألي عنّي سأكون بألف خير، تساءلت بعفوية: لماذا يا حميد يا ولدي؟ خائف يا يمّا خوفتني يا حميد؟ من هؤلاء الذين تتحدث عنهم؟ ممّن تخاف؟

---

[1] المصدرنفسه، ص582.

[2] واسيني الأعرج، كتاب الأمير ، ص545.

–أنا نفسي لا أعرف يا يمّا **جوهرة**»[1] لم ير أمّه بعدها ماتت عند صديقه **بلحمر**، وعاش هو بعد هروبه منفيّا ضائعا في فرنسا تطوح به أمواج فكره ولم تجد له مرسى يرسو فيه.

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن صور الأسر المفكّكة فإننا سنجد أسرة لوليتا تعيش في حالة من التّدهور والانهيار والتّفكك، وهي مشوهة ومنحرفة، تعيش في حالة سقوط مرعب أب تاجر أسلحة، يموّل المجموعات الإرهابية يغطّي تجارته الممنوعة ببيع الحجابات اللّباس الشرعي للمسلمات: «كنت أرى من نافذة غرفتي حتى بعض المسلحين يزورونه ليلاً... يأخذون كيسا أبيض منه مليئًا ربما بالنقود... هو الكيس الذي كنت أراه يسلمه في الجزائر بداية التّسعينيات لشاب لم تكن لحيته قد نبتت نهائيا، عرفت أنّه قتل في جبال الأخضرية، بعد أن أصبح قائدًا، للجماعات الإسلامية المسلحة»[2] لم يكتف بالخيانة العظمى لوطنه، فهو خان زوجته أيضا مرّة مع امرأة سعودية: «حتى أنت باعك لمصلحة امرأة أخرى في السعودية، حيث تجارته –قال لك مجرد زواج مسيار يا عيني على المسيار؟ اسأليه عن الفرق بينه وبين الزّنا والشرمطة؟»[3] خائن ومنحرف، استغل قاصرات اندونيسيات خادمات عنده: «كان يشرب ويقيم علاقات كثيرة مع خادماته الاندونيسيات اللّواتي كنّ أقل منّي سنًّا (لوليتا) السياحة الجنسية متطورة جدا، رأيته ذات صيف بالصّدفة مع فتاتين قاصرتين، كان يظنّني نائمة رأيته كيف عرّاهما ثم سرحت إحداهما على كل جسده بلسانها وشفتيها، باحترافية كبيرة، وكيف كانت الثانية تمصّ

---

[1] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، ص111.

[2] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا ، ص309–310.

[3] المصدر نفسه ، ص290.

أصابع رجليه ويديه، كان مستسلما لهما على حافة المسبح، حتى يذوب، ويتهاوى في أعماق اللّذة، في الأخير يتكئ بينهما على ذراعيهما، وينسحبون نحو غرفته»[1].

ويمثل أبًا منحرفا نزل بذلك إلى مرتبة دون الحيوانية، ويصوّر المقطع الآتي مشهد اغتصابه لابنته (لوليتا) ليدمّر لها حياتها بكلّ وحشية: ((كان سكرانا ليلتها، زادت حلوة المكان ويقينه الأمني المطلق في آخر لباس ترددت كثيرًا، كان مكشوفًا كثيرًا.

جاء ورائي، وشوش في أذني:

-لِمَ الخوف؟أنت ابنتي في النّهاية، والأقرب إلى قلبي.

-مكشوف كثيرا يا بابا... ستتعوّدين عمري، عليك أن تكوني شجاعة... لا أدري لماذا جمد كل شيء فيّ كان قد منحني كأسًا من المانجو، كان لذيذًا شربته، انتابني فجأة ابن الأمير **وحيد** كان بابا يعرّيني أيّة شجاعة؟ فجأة أصبح جسمي عاريا؟ جمدت في مكاني لم أحسّ بشيء سوى بدموعي التي اخترقت عينيّ بقوة، قبل أن أغرق في صور ابن الأمير التي جعلتني استلذ باللّحظة كلّ الكلمات التصقت في حلقي وهو يعرّيني لم أر إلا وجهه الذي اصفرّ. فجأة وعينه اللّتين احمرتا بقوة، كل شيء مرّ بسرعة كبيرة عندما اغتصبني، كان القصر خاليا، لم يرحمني أنا ابنته»[2].

في هذا الجوّ كانت تحيا **لوليتا** مع أسرة تتألف من أب يمارس تجارة إرهابية، يعاشر القاصرات خائن لوطنه ولعائلته، وأمّ خاضعة خانعة ضعيفة لا سلطة لها سوى مع ابنتها الضّحية التي طلبت منها مرارًا أن تسحب الشّكوى ضدّ أبيها، وأخ قسى عليها بدل أن يساندها، أسرة تخلّت عن ابنتها، لتحافظ على مكانتها وتغطّي قذارتها: «أخي كان أسوأ من بابا، جاءني من الجزائر فقط، ليتّهمني بأنّي كنت عقربًا من وشيطانة رجيمة أفقدت

---

[1] المصدر نفسه، ص310.

[2] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، ص310-311.

والده عفته، حتى أمّي لم تكن أقل سوءًا عندما زارتني في باريس، طحّنتني بأسئلتها القاسية التي كانت تضعني في زاوية الاتّهام أكثر مما كانت تتهم زوجها»[1].

إنَّ صورة الأسرة المفكّكة والعائلة هي دعوة تغريبية، فالعائلة تشكلّ نواة التّنظيم الاجتماعي ومركز المجتمع العربي «وهي الوسيط بين الفرد والمجتمع، وهي المؤسّسة التي تتوارث فيها الأفراد والجماعات انتماءاتهم الدّينية والطبقية والثّقافية والسّياسية إلى حدّ بعيد، كما تتصف العلاقات داخل الأسرة بالتّماسك والتّوحّد في مصير مشترك حتى يصبح الفرد في الأسرة عضوًا يقاسم الأعضاء الآخرين، فرحتهم وحزنهم، وغير ذلك من أمور»[2]، وتبدو الأسرة في رواية "أصابع لوليتا" عكس رواية "كتاب الأمير"، رغم عدم اهتمام الكاتب بها –مؤسسة اجتماعية مفكّكة يسودها جو مليء بالمشاحنات والصّراعات المستمرة بين أفرادها: الزّوج المنحرف، والزّوجة المغلوبة من جهة، والآباء والأبناء التي انهارت العلاقة بينهم وسقطت من جهة ثانيه، وبين الأبناء أنفسهم من جهة ثالثة، ومن الطّبيعي أن يؤدّي هذا الصّراع إلى ضعف في هذه المؤسسة وانهيارها، وخاصة عندما تتخلّى عن أسسها الدّينية وركائزها الاجتماعية «فأخذت تذيع الفلسفة المادية، دعواها المضادّة للقيم التي جاءت بها الأديان والشّرائع السّماوية معارضة بها بكلّ قيمة وكلّ مفهوم، وخاصة في مجال الأخلاق والنّفس والتّربية، وتنظيم المجتمع وعلاقات أفراده ونظام الأسرة، وكان أبرز هذه الدعوات: الفرويديّة والوجوديّة»[3].

---

[1] المصدرنفسه ،ص312.

[2] ينظر، حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، ص171–172.

[3] أنور وجدي، قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام، مؤسسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص82.

ويستمر تغريب **واسيني الأعرج** في سخريته من قداسة رابط الزّواج في عدة مقاطع من الرّواية، حتى يقوّض بذلك أسس ومقومات الأسرة، يعتبره نظام رجعي ضد الحرّية الشّخصية وممارسة الجنس خارج تقليد الزواج منها على لسان **لوليتا**«قلت لك منذ البداية قصة طويلة، ولا أريد أن أسمّم بها ليلة جميلة، مغتصبة بقوة من الحياة، أنت مازلت شابًّا اذهب في جنونك، إلى أقصاه، ولا ترهن حياتك بزواج تافه أو امرأة تستعبدك باسم ورقة لا تساوي الحبر الذي كتبت به»[1] وتقول في مقام آخر: «من قال لك إنّ امرأة مهبولة مثلي تريد أصلاً رجلاً؟ إلى اليوم لا أعرف كيف استطعت ترويضي!؟... لن أزعجك يا روحي، أنا أمزح أنا أيضا أكره الزّواج، لا أراني في حوزتي رجلي كيفما كان أحتاج إلى نظام أكبر شيءٌ حي في داخله سعيد من هذا كلّه، يستطيع أن يحوي كل هذه الحرائق التي تملأني»[2]. لم يتوقف كره **لوليتا** للزواج ونعتها له بالتّافه بل زاد تطاولها إلى نقد تشريعيه كحكم في العقيدة المؤسس الحقيقي لنظام البشرية جمعاء، من زواج أبينا آدم وأمنا حواء «تصور أتساءل أحيانًا عن الغبي الذي قنّن الزّواج بالشّكل الممثل الذي نعيشه اليوم؟ ألم يجد غير ذلك السّجن الذي نحشر فيه بقوة كالسردين؟ النّاس لا يعترفون، ولكنّي لا أعتقد أنّ هناك شخصًا مازال فيه في زواجه؟... لو قدر لي أن أحكم البشرية سأغيّر كلّ هذه القوانين الثقيلة، وأرميها في أول مفرغة بلا ندم»[3].

أراد **واسيني الأعرج** عن لسان **لوليتا** أن يشجّع على الحرّية الجنسية، والتحرّر من تقاليد الزّواج الشّرعي حتى يجعل من هذه المحرّمات حقوقا وأفعالاً يطالب بها باسم الحبّ في اللقاءات الجسديّة، وتكون مقبولة ومسوّغة بين أفراد المجتمع باسم أيضًا الحرّية

---

[1] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، ص72-73.

[2] المصدر نفسه، ص410.

[3] المصدر نفسه، ص376-377.

الشّخصية فيتعايش معها المجتمع، ولا يقف ضدّها بكثرة ممارستها والتّشجيع عليها، كأنّه أمر طبيعي، والمفارقة أنّ نظام الزّواج الشرعي أصبح غريبا وخطيئة وكذبة، وسجنا لحرية المنادى بها «ليطلق لحريّته العنان، فيحقّق لنفسه أكبر نصيب من المتع والملذّات باعتباره إله نفسه وسيّد كيانه وما تكون السّعادة إلاّ في إرضاء الهوى وعبادة الذات»[1]. وهذا عرض صريح للثّقافة الغربية من خلال التأثر بفلسفاتها المادّية.

عندما نقف أمام نصّ "أصابع لوليتا" ونقارنه بالواقع الذي ترصده، سنكتشف مدى المبالغة في سوداوية الصّورة التي يتمّ رسمها للأسرة والفرد وعلاقته بالمجتمع، ولا شكّ في أنّ المجتمع العربي يضمّ مثل هذه الأسر المتفكّكة، لكن طريقة السّرد على هذا التفكّك والانحراف في الأسرة غير أصيل ومرفوض في مجتمع ذي ثقافة عربية إسلامية تراثية.

فالانحراف لا يردّ عليه بانحراف آخر، وبذلك تبدو الدعوة تغريبية، لكنّ نصّ "كتاب الأمير" الأمر مختلف؛ لأن الكاتب مقيّد بتفاصيل وحقائق تاريخية قد تمسّ بعفاف وأخلاق الأمير ومحافظته على أصالته بالتمسك بالقيم والعادات والتّقاليد.

2 ـ الدعوة إلى الانحراف والسقوط الجنسي

ظاهرة الإباحة الجنسية اقترنت في أذهان بعض المثقفين العرب بمظاهر التّقدم والتّحرر، جاءت إلى حدّ كبير من سوء فهم الحضارة الغربية والتّأثر بها بشكل أعمى، لقد قام الاستعمار بالتّرويج لمثل هذه الأمور من شرب الخمرة، وانتشار دور البغاء، والقيام بالمهرجانات والحفلات الموسيقية... واتخذت هذه التّفاعلات من تقاليدنا ومن كلّ مقدّساتنا موضوعا للسّخرية باسم التّرفيه، بالإضافة إلى دخول فئة الشّباب لمسابقات ملوك الجمال والوسامة، فينتشر معها الصّور العارية في وسائل الإعلام.

---

[1] ينظر: أنور وجدي، قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام، ص93.

لقد انعكست هذه الظّواهر في عالم الرّواية فيظهر موقف الرّوائي منها من خلال النماذج التي تعبّر عنها ويتم وذلك عن طريقة طرح هذه القضايا لتحدد مدى تأصيله أو تغريبه.

نجد المنجز الروائي أصابع لوليتا يروّج إلى الإباحة والانحراف ويدعو إلى الانحلال الخلقي، مليء بحياة الفسق والرّذيلة فمعظم شخصيات الرّواية شخصيات منحرفة، الكاتب **يونس مارينا** الهارب من الظّلم، هو قد ظلم نفسه بحياة الفساد ولقائه ببطلته **نوّة** أو **ملك** أو **لوليتا**، التي تمثل الانحراف ذاته، وعائلتها التي قدّمت صورة الأسرة المنحطة هذه الشخصيات تمضي حياتها في العلاقات غير الشّرعية، وإدمان الخمرة، والتّدخين، ولا نجدها تعيش إلا في الأماكن التي تفوح منها رائحة الخيانة والجنس، تبدو تلك الشّخصيات مأزومة، تعاني من أمراض نفسية مختلفة فيونس يقيم علاقات غير شرعية مع نساء مختلفات يعتمد فيها على حاسة الشّم، يحمل الصّورة البهيمية من **إيفا**و**إزميرالدا**إلى **لوليتا**، وحتى اسم **لوليتا** يوحي بالجنس لأنّه اشتقه من رواية روسية جنسية، ولا نجده إلاّ ويشرب الخمرة ويسوغ لنفسه ما يقوم به من مجون ويصرح به كأنّه أمر عادي متعايش معه مثل مقطع ممارسته الجنس مع مترجمة أعماله الألمانية **إيفا**، والمفارقة أحسّ، أنه خانها –انحلال فيه لباقة– كان معها، ويتخيل صورة **لوليتا** بدلها: «لأول مرة ينام مع **إيفا**، ويخونه بلا تردّد... لكنه مارسه بانتشاء جميل، لا يعرف معنى الخيانة التي يتحدث عنها الأزواج... لكنّ في هذه المرّة نام شبح **لوليتا** اللّذيذ بينهما... في تلك اللّيلة لم يفارق **لوليتا** مستعيرا جسد **إيفا**»[1].

باقتحام صورة **لوليتا** حياة **يونس**، لم يعد يرغب بامرأة غيرها سحبته إلى عالمها؛ كأنّه ينتظرها منذ زمن، ليغرق أكثر معها في عالم خال من الرّوح الإنسانية، عالم المادية

[1] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، ص53.

لا يتحكّم فيه «الأشواق مثل الكتب يا **إيفا**لا سلطان لنا عليها إلاّ سلطان نفسها وسلطان من يكتشفها، أثاره من جديد العطر نفسه الذي كان من مكان ما من جوانب المعرض... رفع رأسه كالذئب... أدار عينيه كل الاتجاهات واستنفر حواسه كالحيوان البرّي ليتتبع أثر العطر الهارب»[1]، دائما في حضورها أو غيابها يتحسّس وجودها، حتّى يستمتع باللّهو والعبث في ممتلكتها لا يتنفس إلا بوجودها؛ تغيب عنه الحياة إن غابت.

لقد عمل **واسيني الأعرج** في هذا العمل على تشجيع الجنس وتحريره من شرعيّة التّحريم والإثم، وجعل منه فيضًا لا يكاد يخلو النّص الرّوائي منه ذكر كلّ تفاصيله بألفاظ بذيئة، وكيف يتم ووصفه كأنّه حقّ إنساني: «تشمّمت **لوليتا** رقبته، ثم تحسّسته بنعومة، رؤوس أصابعها، دارت حولها في شكل نصف دائري قبل أن تعبرها بشفتها ولسانها، وتوغل في الأذن وطرفيهما الحفيين، كان جسدها مثل المرآة المصقولة تتغير ألوانه... كلّها تدرجات تبدأ من البنفسجي العميق، وتنتهي إلى الزهري الفاتح»[2]، ويواصل: «تشمّمت صدره قليلاً... ثم اندفنت قليلاً في شعيرات صدره الموزّعة بشكل غير منّظم تجمعها مجموعات صغيرة بشفتيها، لدرجة أنّها عندما تسحبها نحو الأعلى، ينتابه بعض الألم اللذيذ... زاده صوت شفتيها ولسانها شهوة صعبة عليه مقاومتها... عمري، عمري بالكاد لامسها، فشعر بجسدها طفوليا، وكأنّه يكتشفه للمرة الأولى، يبدو زغبه الخفيف الذي نبت في الأماكن الحميميّة، مثل ريش فرخ الطّير... الآن لم تعد تأبه لحركات يديه اللّتين أصبحتا تتناغمان معها عندما وصلت إلى سرّته، وانحدرت إلى الأسفل شعر

---

[1] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا ، ص31.

[2] المصدر نفسه، ص297

بالحرائق. تنشئ في كامل جسده، وتنشب بقوة في دمه، ولم يسمع إلا نداءات كانت تأتي متلاحقة: عمري... شهوتي... جنوني...»[1].

مشاهد فاسقة ماجنة تدعو للإباحة الجنسية علنا: «يأتي الحديث عن الجنس بألفاظ مكشوفة تركز على عورات الفرد المغلضة التي تدفعنا إلى أسئلة عدّة منها: لماذا استعار الرّوائي هذه الألفاظ بالذات دون غيرها، بينما كان للمشهد أن يمرّ بغيرها؟ هل جاءت جزءًا من مشروع قصده الكاتب قصده هزّ القارئ العربي في أدق خصوصياته؟ أم أنّها مجرد متع وهمية وهبها الكاتب مجانًا للقارئ المقموع»[2].

لقد أراد الكاتب أن يوقع المتلقّي في حمّى الشّذوذ الجنسي إذ لا يستطيع النّجاة من وباله وتألفه نفسه، وتتقبله إلى أن يصل مسّ العلاقة المقدّسة التي تقوم عليها استقرار النّفس وهي مكانة الأب وتغييب دور الأم، وهذا بانتهاء حياة **لوليتا** على يد الشّخص الذي من المفروض أن يكون حاميًّا لها، ومصدرًا للأمن والأمان، لكنه اخترق قوانين الطّبيعة بكل همجية ووحشية، هتك عرضها، وحطّم حياتها باغتصابها ولميكتف بحياة المجون التي كان يحياها: «ألم تكفه الاندونيسيات ليغتصب ابنته؟»[3] والكاتب كان بإمكانه الاكتفاء بذكر الجريمة الشّنعاء التي ارتكبها الأب الهمجي في حق ابنته القاصر، وما زادها مرارة حملها منه: «حملت من وحش اسمه والدي، تخيل طفلة حامل؟... بكيت كثيرًا كيف أتعامل مع طفل هو ابني وأخي في الآن نفسه، لكن المرشدة أقنعتني بإسقاطه»[4]دون الإمعان في تفاصيل القذارة التي وردت في العديد من مواطن الرواية،

---

[1]المصدر نفسه ، ص299-300.

[2] سيليني نور الدّين، تيمة الجنس في خطاب الرّوائي واسيني الأعرج بين الوعي القائم والممكن والزائف سيّدة المقام أنموذجا، الملتقى الوطني الأوّل حول النّقد الأدبي الجزائريّ 21.22ماي 2006، ص 413.

[3] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، ص310.

[4]المصدر نفسه ، ص429.

حتّى أن يصل القارئ إلى التّقزّز من هذه المشاهد، ويتخطّاها، تصف **لوليتا** وجعها بدقة: «كنت ليلتها أعوم في المسبح بسبب الحرارة والرطوبة جاءني بابا بعد أن تأملني طويلاً... جاءني بكأس مانجو شربتها، كانت لذّاتها غريبة... أغمضت عيني، نشف والدي جسدي على غير عادته، وظّل يضغط على أمكنة حسّاسة. كانت تقربني من ابن الأمير... كنت أشعر بجسدي يتفتح كليًّا كالزهرة... شعرت بشيء غريب ومؤلم في أحشائي تألمت ومع ذلك حاولت أن لا أفكّر في شيء آخر إلا في ابن الأمير **وحيد** وهو يضمني إلى صدره، ويلتصق بي بقوة لكي لا أغادره، وأبقى معه كان، يجهز بجسدي عطشن كبير لم أفهمه إلاّ عندما كبرت قليلاً، فجأة شعرت بشيء يشبه المطر، على الرغم التّمزّقات التي استقرت كلّها في حوضي»[1].

بحادثة الاغتصاب تدخل **لويلتا** حياة الضياع والسقوط في أحضان الرّجل لتكون مومسا يستغلها العالم الخارجي الموحش، عاشرت مدة صديقها الشاذ **جيروم**، التي خرقت غرائزه الحيوانية كلّ الملذّات التي دفعته إلى المثلية، ومعاشرة الدمى الجنسية، وتركها ليشتري واحدة ب500 يورو «من السيليكون كأنّها أنثى حقيقية بكلّ غنجها كانت ممددة عارية على فراشه، كل ملامحها سنوية اسمها راما»[2].

ودخلت عالم الموضة المظلم وضعه رضخت لقوانينه التي تنادي إلى تحرّر المرأة، والثّورة على الألبسة التّقليدية، والحرّية في كلّ الممارسات التي تصب لصالح شركات الأزياء ودور العرض، عالم متغيّر ومتحوّل تسميه **لوليتا** عالم السيلكو، عالم الخوف والشّدّ العصبي: «السّيليكون الرّخيص الذي يتفاعل داخل الأجساد سيتحوّل إلى

---

[1] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا ،ص425-426.

[2] المصدر نفسه، ص211.

قنابل موقوتة داخل أجسادهنّ، ولا أحد يعرف متى تنفجر»[1]وصفت رحلتها في مجال الموضة، وعرض الأزياء بالرّحلة القاسية؛ لتحوّل جسدها إلى وحدة اقتصادية، ووسيلة إشهارية إعلانية لإرضاء الرّغبات، جسد تجاري تسويقي للموضة، باعو جسدها قطعة قطعة حوّلوها إلى شرموطة، جلد ميّت: «بعت جسدي بالمفرق شفتي لشركة أحمر الشفاه اليابانية، وساقي لمؤسسة الجوارب اللاّصقة، وأصابعي لشركة مستحضرات طبيّة»[2]كانت موردًا مهمًّا لتحقيق الأرباح: «أنا دجاجتهم التي تنجب بيضًا ذهبيًّا»[3].، فكلّما باضت الدّجاجة اشتهرت الأزياء وكبرت دور العرض، وفاضت أموال الشّركات ووهن وضعف جسد الدّجاجة، ودخلت زاوية التّهميش؛ ويأتوا بدجاجة بيوضة أخرى، وهكذا... «عمل قاس تبعاته خطيرة، قد تؤدي بأصحابها حتى الانتحار»[4].

لم تسلم شخصيات الرواية من الانحراف حسب توزيع الأدوار التّخيلية للكاتب ماعدا العقيد، الذئب الرئيس بومدين، وصديقه بلحمر، أما الرئيس بابانا أحمد بن بلة نسب إليه عشيقة في قوله: «شبعوا من الحديث عن عشيقة الرايس بابانا التي حوّلوها هم أيضا إلى حقيقة»[5].

الإسكافي جعله يتحسّس ورائحة النّساء في كنادرهنّ حتى عمي **أحمد الشّايب** لم يَقصِهِ من قمامة الجنس بل جعله يتمنّى أن يستمر فيها «لأنّ المرأة التي أفضت بكارته

---

[1]المصدرنفسه،ص287.

[2]واسيني الأعرج، أصابع لوليتا ، ص251-252.

[3]المصدر نفسه، ص237.

[4]المصدرنفسه ،ص283.

[5]المصدر نفسه، ص98.

وسرقت عذريته وعفويته، فتحت أمام عينيه عالمًا ملونًا وجميلاً، لم يكن يعرفه غرق في دفئه مرة واحدة، ثمّ انسحب ليظلّ معلقًا عليها عمرًا بكامله»[1].

فالشّخصيات التي عرضها أغلبها ساقطة في ذلك الجوّ الملوّث ضائعة بين الخمر والجنس، والتّدخين والعقد، والأمراض النّفسية، قمّة الانحراف والصّخب وحياة البارات والمراقص، والاستمتاع بالأغاني السّاقطة التي تصوّر الجنس وتحفز سامعها الغرق فيه؛ تزيّن لهم الفاحشة في صور جميلة ممتعة منها: أغاني **الشّيخة الريميتي** مغنية الراي وأغاني المغنية الفرنسية **إديثبياف** التي قتلها الإدمان، ومن هذه المشاهد المنحطة التي تعرض حياة الكاتب **يونس مارينا**«منذ أن خرج من المرقص... تمددت **(لوليتا)** بجانبه **(يونس مارينا)** بجانبه في السّرير شمّت رائحته الممزوجة برائحة كانت خليطًا من الويسكي والشّمبانيا، وعرق الرّقص... لم تنهكهما السّهرة، ولكنها فتحت شهيتها جسدها وحواسّها كلّها، عندما نزعت لباسها... باتت أناقة جسدها، لم تكن ترتدي إلا ألبسة حقيقية، هو يعرف جيّدًا أنّها تكره الستريبتغ... سمع صوتها كان واضحًا عمري... خذني... خذني نحوك... مدّ أصابعه نحو شفتيها أحسّ بشيء يشبه اللذّة... عندما ضغط على خصرها بهدوء، وانزلها شيئا فشيئا، شعر بحرارة، تجتاح جسده كلّه... فاستسلم لجنون قاده ظلّ يهزّها ويهزّها... سمع أخيرًا همهماتها...حبيبي كنت رائعًا»[2].

ومن الأغاني الإباحيّة الصّاخبة ما ورد عند غياب **لوليتا** عن **يونس مارينا** ركب القطار «وعدّل السّماعتين في أذنيه، أصبح الصّوت نقيًّا وواضحًا أكثر هذه المرة:

أنت في كلّ مكان

في جسدي أرتعش بردًا

---

[1] المصدر نفسه، ص149.

[2] واسيني الأعرج، أصابع لوليتا ، ص302-303.

أشكو من الحرارة، أشعر بشفتيك على جسدي

مستسلمة أمام حبك فأنت تسكنني[1]

إنّ هذا الوصف المفصّل لا يضيف شيئًا إلى الرّواية، وتطوّر الأحداث فيها؛ فضياع البطل **يونس مارينا** بين المراقص والخمر والأغاني الهابطة والنّساء معروف، كما أنّ البطل يقع في التّناقض عندما يشير إلى الأب الدّيوث الذي اغتصب ابنته ومارس معها الجنس مسوغًا لها علاقتها غير الشّرعية به، مع أنه هو نفسه يمارس معها وهو في عمر أبيها وأسمها **لوليتا** نسبة إلى **لوليتا** بطلة الرواية الرّوسية **(لوليتا)** التي كان زوج أمها يمارس معها الجنس وهي قاصر تأثر بهذه الرّواية الجنسية، تخيلها وهي خارجة من ثنايا الورق فأسقط صورها على **(نوّة، ملك)** كأنّه أراد أن يكون مكان زوج أمّها **همبر**، وقصد تشجيع القراء للاستطلاع على هذه الرّواية؛ وإذا كان والد **نوّة (لوليتا)** منحرفًا ديوثا مدمنا فهل يسوّغ لها إقامة علاقة غير شرعية مع رجل آخر؟ وكيف استغل **يونس مارينا** وضعها وعاشرها بعلاقة غير شرعية؟ فلا يعالج الانحراف بالردّ عليه بانحراف مماثل الأغاني الهابطة تثير الحوار، وتجعل من الإنسان حيوانا والتفنّن في احتساء أنواع الخمر المختلفة، والعلاقات غير الشّرعية تسويغها أمر مرفوض وغير أصيل في المجتمع العربي، والتّسويغ والتّسهيل يؤدي إلى التّغريب، لأنّه يصور الأمر بين الرّجل والمرأة على أنّه شيء طبيعي، وحقّ من حقوقهما، فهذا التّسويغ مهما كانت ظروفه، نراه في المجتمعات الغربية، ولعلّ تسهيل وجواز حالات الانحراف التي تعجّ بها الرّواية تلتقي مع ثقافة الغرب في دعوتها إلى الحرّية، وهو ما نتج عنها الحرية الجنسية، ويبدو دعوته إلى التّغريب واضحة، وبالرغم من هذا لايزال المجتمع العربي يحافظ على المبادئ والقيم، وهو بحكم ثقافته الاجتماعية يرفض هذا النّوع من الحرّيات.

---

[1] المصدر نفسه، ص60.

إنّ ظاهرة الانحراف تعبّر عن نماذج مرضية متأثرة بنظرية **فرويد** فالكاتب يريد أن يفتح للجنس مجالاً ثوريًّا على الدّين وثقافة المجتمع بإرضاء ما تهواه النّفس عند **فرويد**"تلجأ البيولوجيا، لتفسير الحاجات الجنسية لدى الإنسان والحيوان إلى وجود غريزةجنسية على ما يفترض وجود غريزة تغذية لتفسير الجوع، غير أنّ اللّغة الشّعبية لا تحتوي في مضمار الحاجة الجنسية على لفظة مقابلة لكلمة الجوع، وعلى هذا فإنّ اللّغة العلميّة تستخدم لفظة "اللّيبيدو" (اللذة)، فالعرف اقتضى في مسألتها إلى مرحلة النّضوج لتنتظم سيرورتها"[1]جعل من الإنسان حيوانًا مادّيًا تتحكم فيه غرائزه وحاجته العضوية، دون وعي اجتماعي حضاري.

لعلّ النّهاية التي وصلت إليها الشّخصيات في علاقتها المختلفة كموت **إزميرالدا** صديقته بسبب إدمانها على التّدخين وانتحار صديق **لوليتا جيروم**... لا تشجعنا على قبول هذا النّوع من العلاقات وتلك الحرية التي يدعو إليها الكاتب؛ لأنّها حرّية وهمية، تؤدي إلى الانحراف والسقوط الجنسي.

فالكاتب ينقل لنا صورًا قائمة بهذه النّماذج المنحرفة للشّخصيات، حتى تظن أنّ المجتمع كلّه كذلك.

فهذه الرواية تلتقي مع الأدب الماجن، والدّعوات الهدامة؛ تعرض النّماذج المنحرفة الشّاذة المثيرة للغرائز، وتعبّر عن الأمراض النّفسية حتى تجعل من الشّهوات تتنفس ويُقدم أفكاره باسم الواقعية "فقدرة الأديب على التّأثير في المتلقّي أخطر من الإقبال على الآفات

---

[1] ينظر، سغموند فرويد، ثلاثة مباحث في نظرية الجنس، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1981، ص11-12.

الاجتماعية بعينها؛ وقوة الكلمة والتّفكير أقوى من أيّ سلاح»[1]، وهنا تكمن الخطورة. التّغريب في الرّواية المستقبلية للمجتمع العربي المسلم.

خلاصة الفصل:

من خلال ما سبق يمكن القول أنّ: واسيني الأعرج من خلال منجزيه الرّوائيين عمد فيهما إلى جذب الطّبقة المثقّفة العربيّة وخاصّة الجزائريّة باستغلال التّاريخ العربي الإسلاميّ والجزائريّ لتقويض استقرار الأمّة والتّشكيك في عقيدتها، وبذل جهدا لإضعاف صورة الأسرة المسلمة من خلال التّرويج للفحش والشّذوذ والخمور، وأخطر شيء عزل الدّين عن الحياة، وتشويه التّاريخ الإسلامي والجزائريّ وتشويه سمعة قادة الأمّة وعلمائها وإحياء صراعات تاريخيّة، واستهداف هويّة الأمّة، بينما الغرب يعملون على إحياء ثقافة ميّتة واستغلال التّراث الإسلامي، وجعله تطوّرا غربيّا له الفضل على الإنسانيّة، وتكريم حثالة تاريخهم ومجانينهم بتنصيبهم من عظماء الإنسانيّة وجعل لهم أيّاما وأعيادا عالميّة يحتفلون بذكراهم كلّ عام حتّى يخلّدهم التّاريخ.

[1] ينظر ،أحمد عمارة، دورة قوة الكلمة والتفكير، أكاديمة عمارة، في: 02 ماي 2024، الساعة: 22: 35، عن https: //em.academy

الخاتمة

بناء على ما تقدّم من مفاهيم نظريّة للتّغريب وأهدافه وأسبابه وإشكالاته وكيف تجلّى في المنجز الرّوائي **لواسيني الأعرج** نصل إلى جملة من النّتائج أهمّها:

ـ أنّ معنى التّغريب لم يكن معروفا عند علماء اللّغة السبّاقين لأنّهم لم يعايشوه في زمانهم، وأوّل من ابتكر هذا المصطلح هم الغرب، وأتى علماء الفكر الإسلامي بعد ذلك ليوضّـحوا مفهومه بشكل واسع.

– وسائل التّغريب التي اتّبعتها قوى الغرب ضدّ ديار المسلمين تسير في العصر الحديث نحو النمط التّدريجي البطيء فيبـدأون بالوسائل التي تثير المجتمعات المسلمة، حتى ينتهي المطاف بالوسائل السّياسية والعسكرية، ولا تستطيع القوى الغربيّة أن تحقّق أهدافها، إلاّ من خلال بعض أبنائها الذين انبهروا بحضارة الغرب.

– قـدّمت المكتبة العلميّة والفكريّة العربيّة العديد من المصنّفات المتعلّقة بمقاومة التّغريب، فبيّنت معالمه وأهدافه ووسائله وطرق مقاومته، ومع كثرة المصنّفات، إلاّ أنّها تعتبر قليلة، والسّاحة العلميّة اليوم بحاجة، وبشكل أكبر إلى المشاركات العلميّة العميقة لحماية المجتمعات من سبل التّغريب الثّقافي الجارف، وكذلك بحاجة إلى التّنوع والإبداع في طرق العرض خاصة مع الوسائل الإلكترونية والإعلامية الهائلة.

–تمظهرات التّغريب الثّقافي وتجلّياته في النّص الرّوائي عند " **واسيني الأعرج** " في المنجزين المدروسين كتاب **الأمير مسالك أبواب الحديد، وأصابع لوليتا**، حاولنا فيهما كشف مدى خطورة التّغريب الثّقافي على المتلقّي، فقوّة الكتابة وتأثيرها أَحَدُّ من السّيف على التّفكير، ولا سيما أن تقدّم في قالب فنّيّ من كاتب يتميّز بالاحترافية فإنّ من البيان سحرا على القلوب والعقول.

– الروائي "**واسيني الأعرج**" من الرّوائيين الذين تميزوا بذكائهم وفراستهم وفهمهم للواقع، ويدرك الاحتياجات التي تملأ فضول القارئ العربي والجزائري، فلذلك يعمل على تلبية هذه الرغبات بالتركيز على الثوابت والمركزيات حتى يغيّر من قناعاتهم تجاهها.

–في نهاية الدراسة للروايتين رأينا غلبة التغريب الثقافي، وانحسار الأصالة إلى درجة أن الأمور الأصيلة كانت ترفض، وتُصور تصويرا فيه كثيرا من المغالطات سعيا إلى استبدالها بمفاهيم أخرى، ومثالنا على ذلك تغيير لفظة الدعاء بلفظة الصراخ، ولفظي الدفاع والهجوم بلفظة الانتحار...

– وتكون مواجهة التّغريب الثّقافي بتصحيح المفاهيم والكشف عن الأخطاء بالدّعوة إلى غربلة هذه الحصيلة والاستغناء عن الفاسد منها والرّد على الزّيف والشّبهات التي تحويها وذلك في سبيل هدف كبير وكريم هو بناء جيل مسلم يؤّدي رسالة إنسانيّة وفق مقوّمات وأصول لها ضوابط صحيحة.

قائمة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر

1-واسيني الأعرج، أصابع لوليتا، دار الثّقافة، دبي، الإمارات العربيّة المتحدة، ط1، 2012.

2-----------كتاب الأمير، مسالك أبواب لحديد، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط 1، 2005.

ثانيا: المراجع

1-أبو الحسنين النّدوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر، دط، دت.

2-أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4 (1830-1945)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

3-أسامة صلاح، فقه تعدد الزّوجات مقاطع مختارة من الموسوعية الفقهية، الكويت، د.ط، د.ت.

4-إسماعيل الفاروقي، أسلمة المعرفة، دار البحوث العلمية، الكويت، د.ط، 1984م.

5-أنور وجدي، أهداف التّغريب في العالم الإسلامي، الأمانة العامة للجنة بالأزهر الشريف، 2015.

6-أنور وجدي، شبهات التاريخ في غزو الفكر الإسلامي، المكتب الإسلامي، دمشق، سوريا، دط، 1978.

7-أنور وجدي، قضايا العصر ومشكلات الفكر تحت ضوء الإسلام، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1981.

8-حسن السماهيجي وآخرون، عبد الله الغذامي والممارسة النقدية والثقافية، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003.

9-حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1984.

10- حليم بكرات، غربة الكاتب العربي، دار الساقي، بيروت، لبنان، د.ط، 2011.

11- خالد بن جمعة، موسوعة الأخلاق، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ط1، 2009.

12- خيري شلبي، محاكمة طه حسين، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ط2، د.ت.

13- ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، تحقيق: د.محمود حقي، دار اليقظة العربية، دمشق، سوريا، د.ط، د.ت.

14- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، مصر، المجلد01، ج1، ط1، 1973.

15- شلتاغ عبّود، قضايا إسلامية معاصرة، دار الهادي، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

16- شوقي الجمل، المغرب الأقصى الكبير في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط1، 1977.

17- عباس عبد الجاسم، نقطة ابتداء الحداثة والتحديث والنقد الثقافي، منشورات مركز لاكويز الثقافي، إقليم كردستان، العراق، د. ط، 2013.

18- عبد الرحمن بن محمّد الدّوسري، صفوة الآثار والمفاهيم في تفسير القرآن العظيم، ج3، دار المغني للنشر والتوزيع، المجلد2، ط1، الرياض، 2004.

19- عبد الرّزاق بن سبع، الأمير الجزائري وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود للإبداع والشعر، السعودية، د. ط، 2000.

20- عبد العزيز بن أحمد البدّاح، حركة التغريب في السّعودية، المركز الإسلامي للدّراسات الإنسانية، ط1، الرياض، السّعوديّة، 2010.

21- عبد المحسن بدر، حول الأديب والواقع، القاهرة، مصر، ط2، 1981.

22- فريدة بالرّقي، كاتب جامع للعادات والتقاليد، سطيف، الجزائر، د. ط، 2022.

23- فهد خليل، العربية بين التّغريب والتّعريب، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د. ط، 2006.

24- فيصل دراج، الرواية وتأويل التاريخ، نظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2004.

25- ماجدة حمود، إشكالية الأنا والآخر، نماذج عربية روائية، المجلس الوطني للثقافة والفنون، والآداب، ط1، الكويت، 2013.

26- متولّي الشعرواي، تفسير الشّعرواي، مكتبة الأسرة، القاهرة، د.ط، د.ت.

27- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في مآثر عبد القادر والجزائر، المطبعة التجارية، الإسكندرية، مصر، د. ط، 1903.

28- محمّد محمّد حسين، حصوننا مهددة من داخلها، مؤسسة الرّسالة، ط6، بيروت، 1981م، ص123.

29- محمود شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د. ط، 1997

30- نضال الشّمالي، الرواية والتاريخ، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2006.

31- نور الدّين سيليني، تيمة الجنس في خطاب الرّوائي واسيني الأعرج بين الوعي القائم والممكن والزائف سيّدة المقام أنموذجا، الملتقى الوطني الأوّل حول النّقد الأدبي الجزائريّ 21.22، ماي 2006.

ثالثا: المراجع المترجمة

1-إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2006.

2-إيف بوربير، أوروبا التنوير، تر: محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

3-برونو إتيين، عبد القادر الجزائري، تر: ميشيل خوري، درا الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

4-سغموند فرويد، ثلاثة مباحث في نظرية الجنس، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1981.

5-مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، تر: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط4، 1984.

6-شارل تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1974.

رابعا: الرسائل الجامعية

1. خيرة العيدي، موقف المغرب الأقصى من مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري(1832، 1847)، مذكرة الماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلّيّة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، جامعة غرداية، 2016/ 1017.

2. سعدواي مصطفى، المنظمة الخاصة ودورها في الإعداد لثورة نوفمبر (1947-1954)، رسالة لنيل شهادة الماجيستير، في التاريخ الحديث والمعاصر، كليه العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، دفعه 2005-2006.

خامسا: مقالات في مجلات

1-أمل موسى، وسائل الغزو الفكري على عقيدة المرأة المسلمة...، مجلة الدّراسات العربيّة(DRAM)، المجلد37، ع04، في: جانفي 2018.

2-حذيفة عبود مهدي السّامرائي، التّغريب آثاره وسبل مواجهته، مجلة العلوم الإسلامية، العدد10، العراق، 2019.

3-دليلة زغدودي، تراسل الفنون في كتابات واسيني الأعرج، مجلة مقاليد، تلمسان، الجزائر، ع11، بتاريخ: ديسمبر 2016..

4-سعود عبد العزيز الدّوسري، التغريب في العالم الإسلامي: مخططاته وآثاره وكيفية مواجهته دعويًّا، مجلة الدراسات الاجتماعية، المجلد16، العدد32، اليمن، 2011.

5-سعود عبد العزيز الدّوسري، التّغريب في العالم الإسلامي، مجلّة الدّراسات الاجتماعيّة، المجلّد 16، العدد 300، 2011.

6-فريد محمّد أمعضشّو، التّغريب مفهوما وواقعا، مجلة المنهاج، العدد 6، المغرب، 2012.

7-ليلى العرباوي، الفضاء الاجتماعي، مجلة تاريخ العلوم، العدد07، 2017.

سادسا: المعاجم و القواميس

1-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، المجلد1، ط1، 1990.

2-إسماعيل عبد الكافي، معجم مصطلحات عصر العولمة، الملكية الفكرية، د.ب، د.ط، 2002.

3-الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق محمد تامر وآخرون، دار الحديث، القاهرة، مصر، المجلد1، ط1، 2009.

4-سامي الصّلاحات، معجم المصطلحات السياسية في تراث الفقهاء، مكتبة الشروق الدّولية، القاهرة، مصر، ط1، 2007.

سابعا: المراجع الرقمية

1. ابن أبي شبيبة، المصنف -كتاب الجهاد- من ينهي عن قتله في دار الحرب - الجزء رقم 7، إسلام ويب، عن https: //www.islamwep/net
2. أحمد عمارة، دورة قوة الكلمة والتفكير، أكاديمة عمارة، في: 02 ماي 2024، الساعة: 22: 35، عن https: //em.academy
3. أمثال شعبية جزائرية، الأوراس نيوز، في: 2024/05/04، الساعة: 22: 25 عن: https: //elauresnews.dz
4. بوعافية أحمد، التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي (1830-1962)، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، في: 2018/06/14، عن https: //dspace-univ-msilla.dz.
5. التغريب: التأسيس وأبرز الشخصيات، طريق الإسلام، في: 2019/09/20، https: //ar.pslamway.net
6. عادل أحمد الرّويني، أسباب تعدد الزّوجات، صحيفة الخليج، في: بتاريخ 2024/04/13، الساعة 10:00 https://www.alkhaleej.ae
7. الخطيب، قراءة تقويمية للقول برجوع ابن مسعود عن موقفه من الجمع العثماني وموافقته الجماعة بتاريخ: 2024/04/26، على الساعة 22: 19، مركز تفسير الدراسات القرآنية، https: //tafsir.net
8. الكاتب الجزائري رشيد بوجدرة "أنا ملحد"، France24، بتاريخ 2015/6/5، https: //www.france24.com

9. محمد علي فدعيم، محاضرات الاستعمار الثّقافي، جامعة الأنبار، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، 2022/2021، ص30، بتاريخ: 2023/05/30 عن :https //www.uoanbar.iq

10. موسوعة الشرق الأوسط، معنى اسم مارينا، في 2023/5/3، الساعة 11: 35، عن https: //mawsoaa.com

11. واسيني الأعرج، الرواية تحتفي بما يغفله التّاريخ، وأخبار ثقافة، الجزيرة نت، في: 2013/04/15، https: //www.aljazeera.net

ثامنا: القنوات التلفزيونية

1-حصة " أما بعد"، قناة الشّروق نيوز الجزائرية، بتاريخ: 08 جوان 2023.

2-أحمد منصور، حصّة شاهد على العصر ـ الانقلاب على أحمد بن بلّة (13) ـ قناة الجزيرة، تاريخ الحلقة: 29.12. 2002.

فهرس المحتويات

المحتوى	الصفحة
إهداء	//
شكر وعرفان	//
مقدمة	أ–ج
الفصل الأول: التّغريب الثّقافي: مفاهيم أساسيّة	05
تمهيد	06
أوّلا: مفهوم التّغريب الثّقافي	06
1 . التّغريب لغة	06
2 . التّغريب اصطلاحا	07
3 . التّغريب الثّقافي	08
ثانيّا التّغريب الثّقافي وعواقب الخفيّة	09
ثالثا: وسائل التّغريب الثّقافي	12
1 . الوسائل الثّقافية والفكرية للتّغريب	13
2 . الوسائل التّعلميّة والتّربوية للتّغريب	19
3 . الوسائل الإعلامية للتّغريب	24
4 . الوسائل السياسية والعسكرية	26
5 . الوسائل الاقتصادية والمالية للتّغريب	30
رابعا: أعلام التّغريب من الأدباء والمفكرين	33
خلاصة الفصل	38
الفصل الثاني: تمظهرات التّغريب الثّقافي وتجلياته في النّصّ الرّوائي عند واسيني الأعرج	39
أوّلا: الفضاء التاريخي والسياسي	40
تمهيد	40

1 . . المدّ التغريبي أصبح خطرا على الهوية الوطنية	41
2فرض سياسة المنفى كهوية	54
ثانيّا: الفضاء الثّقافي	64
تمهيد	64
1 انتماءات عقائدية تغريبية	65
2 . تشويه الموروث الثّقافي	70
ثالثا: الفضاء الاجتماعي	91
تمهيد	91
1 الأسرةوالعلاقة بين الفردوالمجتمع	91
2 الدّعوة إلى الانحرافوالسّقوط الجنسي	105
الخاتمة	115
قائمة المصادر والمراجع	118
فهرس المحتويات	126
ملخص	//

الملخّص:

تهدف دراستنا إلى الكشف عن التّغريب الثّقافي وأشكاله ومظاهره في روايتي: **كتاب الأميرمسالك أبواب الحديد وأصابع لوليتّا** وفكّ شفرات الكتابة عند **واسيني الأعرج** والخبايا المدسوسة في روايتيه ومنه كان عنوانها موسوما بـ " **التّغريب الثقافي في الرواية الجزائرية المعاصرة واسيني الأعرج أنموذجا** " قسّمنا بحثنا إلى فصلين: الفصل الأوّل نظري تكوّن من مفهوم التّغريب الثّقافي وتحديد عواقبه الخفيّة ووسائله أمّا الفصل الثّاني التّطبيقي تضمّن تمظهرات التّغريب الثّقافي وتجلّياته في الرّوايتين: **كتاب الأميرمسالك أبواب الحديد وأصابع لوليتّا** في تهميش الثقافة الإسلامية واستبدالها بالثقافة الغربية فهو احتلال للّنفس والعقل معا.

Summary

Our study amis to uncover cultural alienation and its forms and manifestations in the movels Lolita's fimgers of I rom Gates. It amis to decrypt the writings of wassini Al Araj and the widden meanings in his movels.on of which is titled cultural Aliénation in contemporary Algérien literature wassiniAL_Araj as an exemple our reserch is divided imto two chapter de a ls with the concept of cultural alienation difininy its hidden cosequences and means while the second applied chapter includes the manifestations of cultural alienation and its expressions in the two novelsLolita Fingers" and the prince the paths of lron Gates and the role of cultural alienation im marginalizing islamic culture and replacing it urthwectern culture which is an occpation of both the mind and soul.